

- مغامرة الحية المنقطة
- مغامرة فى منزل كوبر بيتشيز
- مغامرة ذوى الرءوس الحمراء

تأليف
آرثر كونان دويل

ترجمة
على الجوهرى



مغامرات
شرلوك هولمز

- مغامرة الحية المنقطة
- مغامرة فى منزل كوبر بيتشيز
- مغامرة ذوى الرءوس الحمراء

تأليف
آرثر كونان دويل

ترجمة
على الجوهرى

دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير

دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي ناصية امتداد مكرم عبيد وسمير فرحات
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٢٧٤٤٦٤٢ - ٦٣٨٩٣٧٢(٢٠٢) فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣(٢٠٢)

Dar El-Talae For Publishing , Distributing and Exporting

59 Abdel Hakim El Refae St. Nasr City - Cairo
Tel : (202) 2744642 - 6389372 Fax : (202)6380483

●● جميع الحقوق محفوظة للناشر

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

No Part Of This Book May Be Reproduced By any Process Without Written Permission. Inquiries Should Be Addressed To The Publisher .

رقم الإيداع : ٥٦٦٦ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي : 977-277-245-0
تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

★ تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية
من وكيلنا الوحيد : مكتبة الدار البيضاء للطبع والنشر والتوزيع
تليفون : ٤٣٥٩٠٦٦ - ٤٣٤٠٣٥٠ فاكس : ٤٣٥٥٧٠١

تم الطبع بمطابع ابن سينا بالقاهرة تليفون : ٣٢٠٩٧٢٨

نبذة عن المؤلف

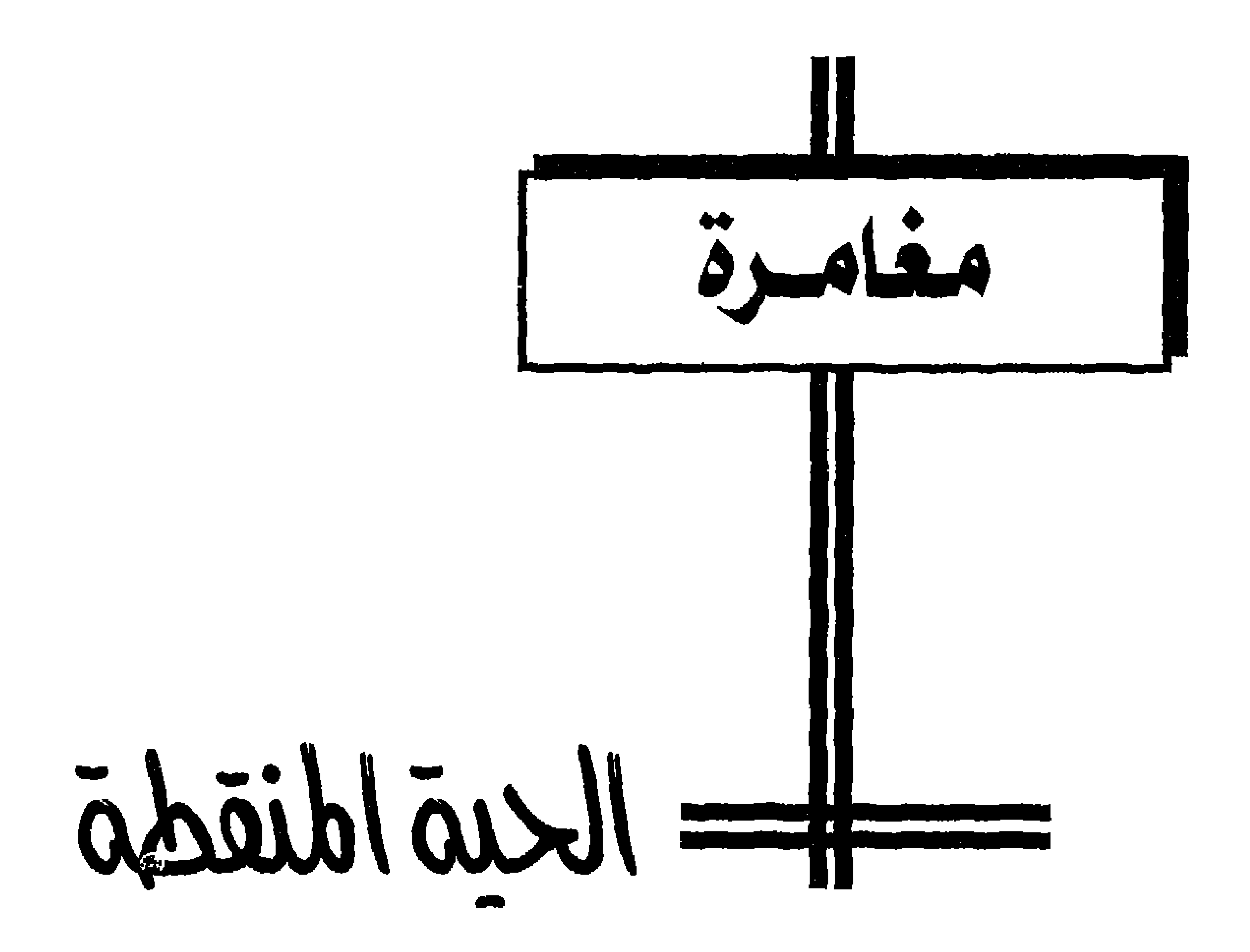
وُلِدَ آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle فى إدنبره فى سكوتلاندا فى عام ١٨٥٩ . ودرس الطب ، وافتتح عيادة فى عام ١٨٨٢ . ولكن المرضى لم يهرعوا مقبلين على عيادة الدكتور دويل الغض الشباب بسرعة ، وبدأ الكتابة أثناء شهور كان ينتظر خلالها أن يطرق باب عيادته طارق .

وعلى الرغم من أن قصصه الأولى لم تكن ناجحة جدا ، فإن أول قصصه عن شرلوك هولمز المعنونة بعنوان : «دراسة اللون القرمزى A Study in Scarlet» قد صادفت نجاحا سريعا . ولقد كان دويل قد اعتمد على واحد من مدرسيه فى كلية الطب كنموذج لبناء ملامح شخصية هولمز التى كانت هى نفس ملامح شخصية أستاذه فى كلية الطب وهو الدكتور «جوزيف بل» ، الذى كان شديد الذكاء لا فى تشخيص الأمراض فقط ، ولكنه كان بارع الذكاء فى دراسة مظهر مرضاه ، وخلفيات أشخاصهم ، وعاداتهم أيضا . واستعار دويل هذه المهارات العظيمة فى قوة الملاحظة ودقة التخمين لكى يخلعها على شخصية شرلوك هولمز التى ابتدعها خياله إلى حد جعل فيه ذلك المخبر السرى العظيم يصغى بكل اهتمام وانتباه إلى الحكايات الغريبة والغامضة والعارضة عفو الخاطر «لزبائنه» لكى يستخلص منها المعانى والحقائق الكامنة وراءها .

وتظهر شخصية «شرلوك هولمز» وشخصية صديقه ومساعده الدكتور «چون واطسون» فى ست وخمسين قصة من القصص القصيرة وفى أربع روايات طويلة كتبها آرثر كونان دويل . والقصص الثلاث المثيرة التى ستقرؤها فى هذا الكتاب إنما هى مختارة من مجموعة قصصه القصيرة المعنونة بعنوان : «مغامرات شرلوك هولمز "The Adventures of Sherlock Holmes" .

وبمجرد أن أصبح شرلوك هولمز أسطورة واسعة الانتشار فى العالم ، أصبح آرثر كونان دويل أيضا خبيرا فى حل معضلات الجرائم . لقد عُرِضَتْ عليه قضايا من الحياة الواقعية Real-life Cases وتم الاعتماد عليه فى إثبات براءة كثير من الناس الذين كانوا قد سجنوا ظُلْمًا . ومن الجائز لنا أن نقول : إن أى مؤلف آخر للقصص والروايات لم يستطع أن يبدع أو يبتكر شخصية خيالية فى القصص والروايات بحيث تبدو كما لو كانت شخصية حقيقية كما فعل آرثر كونان دويل بالنسبة إلى شخصية شرلوك هولمز .

ونستطيع أن نطالع الآن بعض النماذج من مغامرات شرلوك هولمز كما صاغها ببراعة آرثر كونان دويل .


مغامـرة
الحية المنقطة

كان ذلك فى وقت مبكر من شهر أبريل عام ١٨٨٣ عندما كان شرلوك هولمز ومساعده الدكتور جون واطسون يقيمان سويا فى شقة هولمز فى المنزل رقم ٢٢١ ب فى شارع بيكر عندما استيقظ الطبيب الطيب ذات صباح ليجد المخبر السرى العظيم واقفا وهو يرتدى ملابسه الكاملة بجوار سريره . وكانت القاعدة العامة هى أن هولمز كان يصحو من النوم متأخراً كل يوم ، ولذلك سيطرت الدهشة على واطسون عندما لاحظ أن الساعة فوق الدولاب تشير إلى الساعة ٧,١٥ صباحا .

وقال هولمز : «يؤسفنى أن أوقظك يا واطسون ، ولكن السيدة هدسون قد استيقظت ثم أيقظتنى وهأنذا أوقظك» .

وسأله واطسون : «ولماذا بالضبط أيقظتك صاحبة المنزل الطيبة ؟» ، فقال هولمز: «يبدو أن أحد العملاء قد وصل - سيدة فى مقتبل العمر ، مضطربة كل الاضطراب وتصر على مقابلتى فورا وفى الحال ، إنها تنتظر فى حجرة الاستقبال. وعندما تكون سيدة شابة مستيقظة وتتجول فى مدينة لندن فى هذه الساعة وتوقظ الناس من مضاجعهم فأنا أستنتج من ذلك أن لديها مشكلة عاجلة تستحق البحث والمناقشة ، ولقد وجدت أنه لو ثبت أنها قضية مشوقة ، فأنت ربما ترغب فى أن ترى تفاصيلها منذ البداية» .

وقال واطسون وهو يقفز من فراشه ويرتدى ملابسه بكل سرعة : «يا عزيزى هولمز ، أنا لا أحب أن يفوتنى ذلك لأى سبب . إن أعظم شىء يسر خاطرى هو متابعة أبحاثك والإعجاب باستنتاجاتك السريعة المنطقية» .

وبعد دقائق قليلة فتح شرلوك هولمز والدكتور واطسون باب حجرة الجلوس . ونهضت سيدة ترتدى الملابس السوداء وتضع على وجهها حجابا عن مقعدها بجوار النافذة .

وقال هولمز بابتهاج : «صباح الخير يا سيدتى ، أنا شرلوك هولمز . وهذا هو صديقى ومساعدى الدكتور واطسون ، إن لديك مطلق الحرية فى أن تتكلمى أمامه كما تتكلمين معى ، هيا نجلس من فضلك بالقرب من المدفأة التى كانت السيدة هدسون قد أوقدتها . أنا ألاحظ يا سيدتى أنك ترتجفين .. سآمر لك بفنجان من القهوة الساخنة» .

وقالت المرأة فى رقة : «ليس البرد هو الذى يجعلنى أرتجف . إنه الخوف يا سيد هولمز» . واقتربت من المدفأة .

ورفعت النقاب عن وجهها وهى تتكلم ، ليبدو تحت ذلك النقاب وجه شاحب يغرق فى شحوبه عينان فيهما خوف شديد كعينى حيوان وقع فى شباك صياد . كان يبدو أن عمرها لا يتجاوز ثلاثين عاما ، ولكن شعرها الفاحم السواد كانت تتخلله شعيرات بيضاء وكان يبدو على مظهرها العام كل التعب وتشتت الذهن .

وقال هولمز مهدئا من روعها وهو يربت بيده فوق يدها : «يجب ألا تخافى . سنساعدك . آه ، ألاحظ أنك قد حضرت هنا بالقطار هذا الصباح» .

وسألته : «ولكن كيف استطعت أن تعرف ذلك ؟ هل شاهدتنى فى المحطة ؟» .

فقال هولمز : «لا ياسيدتى . ولكننى استطعت أن ألاحظ جزءا من تذكرة عودة بالسكة الحديد ملتصقة بقفاز يدك اليسرى . ولقد لاحظت

أيضا أنك قد سبق لك استخدام عربة فى طريق موحل لمسافة كبيرة لكى تصلى إلى المحطة» .

وشهقت المرأة وحملقت فى ذهول نحو هولمز فقال لها : «لا يوجد أى سر فى ذلك يا سيدتى ، الكم الأيسر للسترة التى تلبسينها يوجد عليه نقاط من الوحل فى سبعة مواضع والعربة تقذف مثل هذا الرذاذ من الطين فقط عندما تجلسين على يسار سائق العربة» .

فقالت السيدة : «كلامك صحيح .. بدأت رحلتى من المنزل قبل الساعة السادسة ، ووصلت إلى قرية «ليزرهيد» فى الساعة ٦,٢٠ ، وركبت القطار إلى محطة ووترلو . ولكن هذا فيه الكفاية يا سيدى أنا لا أستطيع أن أتحمل هذه المحنة لوقت أطول من ذلك . سيصيبنى الجنون لو استمر بقاء هذه المحنة . وليس عندى رجل أستطيع أن ألجأ إليه ليهتم بشئونى فيما عدا رجل واحد . وعلى الرغم من أننى لا أستطيع أن أدفع لك مقابل أتعابك الآن ، فأنا خلال شهر واحد سوف أتزوج وسيكون من الممكن لى حينئذ أن أحظى بدخلى الخاص» .

فقال لها هولمز : «أرجو ألا تشغلى نفسك بمسألة دَفْع مقابل الأتعاب يا سيدتى العزيزة . إن مهنتى تحظى بمكافأتها من تلقاء ذاتها . والآن من فضلك خبرينا كيف يجوز لنا أن نكون فى خدمتك» .

ومالت المرأة بصدرها إلى الأمام وابتسمت فى إعياء وقالت : «لا تعتقد يا سيد هولمز أن الرعب الذى أشعر به هو ببساطة مجرد خيال لامرأة عصبية . أنت مشهور بالقدرة على التمييز بين الأخطار الحقيقية والأخطار الخيالية ، ولذلك جئت إليك طلبا للمساعدة» .

واستطردت المرأة تقول : «اسمى هو «هيلين ستُونَرْ» وأنا أعيش مع

زوج أمي الدكتور «جريمسباى رُويْلُوت» ، وهو الوحيد الباقى على قيد الحياة من العائلة النبيلة ، عائلة رويلوت فى «ستوك موران» فى إقليم «سُورّى الغربى» .

وأومأ هولمز برأسه وهو يقول : «اسم العائلة مشهور ومألوف» . فقالت المرأة : «فى وقت من الأوقات كان أفراد أسرة رويلوت من أكثر أبناء العائلات غنًى وثراءً فى كل أنحاء إنجلترا ، ولكن فى أثناء القرن الأخير ، كان أربعة من الورثة فى هذه الأسرة شديدى الإسراف والنَّزق ، وفى خاتمة المطاف فقد أحد أبناء الأسرة ، وكان مقامرا ، كل شىء فيما عدا عددا قليلا من الأفدنة ومنزلا عمره ٢٠٠ سنة وهو مثقل بالديون والرهونات إلى حد كبير . وابنه الوحيد ، وهو زوج أمى، قد تأكد أنه يتعيَّنُ عليه أن يكسب عيشه من خلال عمله ، ولذلك، التحق بمدرسة لكى يتعلم مهنة الطب بنقود اقترضها من أحد أقاربه وأفلح فى أن يؤسس عيادة طبية كبيرة وناجحة فى مدينة كالكوتا فى الهند . وعلى كل حال، لقد أفضى ذلك إلى نهاية فجائية سيئة عندما اتهم الدكتور رويلوت كبير الخدم الهندى بسرقته وضرب الرجل ضربا أفضى إلى الموت . وتم إدخال الطبيب إلى السجن لسنوات عديدة وأعيد إلى إنجلترا رجلاً مهزوما محطم الآمال» .

واستطرت المرأة تقول : «وعلى كل حال ، وأثناء إقامته فى الهند تزوج الدكتور رويلوت أمى ، السيدة ستونر ، الأرملة الشابة لضابط فى الجيش البريطانى كان يخدم هناك . وكانت أختى التوأم «چوليا» وأنا قد بلغنا العام الثانى آنذاك . وكان لدى أمى دَخْلٌ مالىٌّ مريح – أكثر من ألف جنيه كل عام– وطبقا لوصيتها تركت هذا المبلغ من المال للدكتور رويلوت طالما كانت چوليا وطالما كنت أنا أيضا نعيش معه .. وعلى كل

حال عندما تزوجت چوليا وتزوجت أنا ، ذهب جزء من مبلغ الألف جنيه إلى كل منا . ودخلت الوصية حيز التنفيذ منذ ثمانى سنوات مضت ، وذلك بعد وقت قصير من عودتنا إلى إنجلترا عندما كانت أمى قد لاقت حتفها فى حادثة من حوادث السكة الحديد.

«وغادرنا مدينة لندن بعد وفاة أمى ، وأخذنى الدكتور رويلوت أنا وأختى لكى نقيم معه فى منزل أسرته القديم فى ستوك موران . وكانت النقود التى كانت أمى قد تركتها لنا كافية للوفاء بكل احتياجاتنا .

«ولكن تغييرا مخيفا طرأ على زوج أمى فى ذلك الوقت تقريبا . وبالرغم من حالات الترحيب من جانب كل أصدقائه القدامى وجيرانه ، أغلق الدكتور رويلوت على نفسه باب منزله القديم وكان يخرج منه فقط لكى يتشاجر مع أى شخص كان يقترب من المكان ويبدو أن الطبع العاصف العنيف كان شيئا موروثا فى عائلة رويلوت ، وفى حالة زوج أمى ، أفضى ذلك إلى كثير من المشاجرات التى انتهت إلى المحكمة . ودأب الناس فى الجوار إلى الفرار منه والابتعاد عنه لا بسبب غضبه الجامح فقط ، ولكن بسبب قوّته الهائلة أيضا» .

«وفى الأسبوع الماضى ، قذف بالحداد الموجود فى البلدة من فوق جدار إلى إحدى الترع ، واستطعت بدفع كل النقود التى استطعت أن أجمعها أن أقيه شر الدخول إلى المحكمة . وأصدقاؤه القدامى قد غدوا كما لو كانوا مجزد أناس غرباء عن المكان كمجموعة من الغجر سمح لهم أهالى البلدة أن يقيموا مخيمهم على أرضها . وفى مقابل ذلك كانوا يسمحون له أن يسافر معهم فى رحلات وربما تستغرق الرحلة مدة أسابيع كثيرة فى الرحلة الواحدة .

«وهو مولع أيضا بالحيوانات الهندية ، وكان يُرْسَلُ إليه بين وقت وآخر بكثير منها من الهند . والآن ، فى هذا الوقت بالتحديد لديه قرد من نوع شيتا وآخر من نوع البابون يتجولان بكل حرية فى الأرض المجاورة لمنزله . ويخاف أهل القرية من هذه الحيوانات بنفس القدر الذى يخافونه لزوج أُمِّى .

«وأنت تستطيع أن تدرك يا سيد هولمز أن أختى المسكينة چوليا وأنا لم نحظ بحياة سعيدة . لا أحد من الخدم يرضى أن يعمل فى منزل الدكتور رويلوت ، وألقى على عاتقنا أن نعنى بنظافة المنزل والقيام بكل أعماله بأنفسنا . وكانت أختى چوليا قد بلغت الثلاثين من عمرها فقط عندما ماتت من عامين ، ولكن شعرها كان قد شابه البياض بالفعل كما خالط البياض شعرى أنا أيضا» .

وسألها هولمز : «كيف ماتت أختك ؟» ، فقالت : «إننى أشعر بالخوف على نحو غريب يا سيد هولمز . أنت تستطيع أن تدرك جيدا أن حياتنا على النحو الذى سبق لى أن وصفته لك لم تتح لنا أنا وأختى أى صداقات مع أناس فى مثل عمرنا . وعلى كل حال كانت لأمى شقيقة هى الآنسة «أونوريا ويستفيل» ، وكان الدكتور رويلوت يسمح لنا أن نقوم بزيارتها بين آن وآخر . ومنذ عامين ، وأثناء زيارة إلى خالتى أونوريا فى عيد الميلاد ، قابلت أختى چوليا أحد ضباط البحرية ، وسرعان ما تبادلا الحب وأصبحا خطيبين . وعندما عدنا إلى منزل ستوك موران وأخبرنا زوج أمى فإنه لم يعترض ولكن قبل أسبوعين من موعد عقد قرانها حدث شىء رهيب» .

وقال هولمز : «من فضلك يا آنسة ستونر ، أنا أرجو أن تصغى لى كل شىء بكل دقة . أريد كل التفاصيل بكل دقة» . وأجابته قائلة : «إننى

أستطيع ذلك بكل سهولة لأن كل لحظة من ذلك الوقت الرهيب إنما هي شديدة الوضوح تماما في ذاكرتي . دعني أوضح أولا وقبل كل شيء أن المنزل قديم جدا ونحن كنا نشغل جناحا واحدا منه . وحجرات النوم في الطابق الأرضي . وأول حجرة في الطابق الأرضي هي مسكن الدكتور رويلوت ، والثانية هي مسكن شقيقتي، وكنت أنا أقيم في الحجرة الثالثة ولا توجد أبواب تربط بين الحجرات ، ولكنها كلها ذات فتحات على الطرقة .

وقال هولمز : «وماذا بشأن نوافذ هذه الحجرات؟» فقالت : «النوافذ في مواجهة منطقة ذات أعشاب . وفي تلك الليلة المفزعة ، كان الدكتور قد ذهب إلى حجرته في وقت مبكر ، ولكن چوليا كانت تعرف أنه لم يكن نائما لأنها كانت تشم رائحة دخان سجائره الهندية ذات الرائحة القوية ولأنها كانت في ضيق من الدخان ، غادرت حجرتها وجاءت إلى حجرتي حيث جلسنا نتجاذب أطراف الحديث بشأن الزفاف . وفي الساعة الحادية عشرة نهضت لكي تنصرف إلى حجرتها ، ولكنها توقفت عند باب الحجرة ونظرت نحوي نظرة غريبة ، ثم قالت : «قولي لي يا هيلين : ألم تسمعي على الإطلاق أي شخص يصدر عنه صفير أثناء الليل ؟» فقلت : «لم أسمع أبدا أي صفير . لماذا السؤال ؟» ، فقالت چوليا : «أثناء الليالي القليلة الماضية ، في حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، أيقظتني صفارة خفيضة الصفير واضحة . ولم أستطع أن أحدد من أين كان يأتي صوت الصفير ، ربما كان آتيا من الحجرة المجاورة ، حجرة زوج أمي أو من الحشائش» ، وقلت في محاولة للإيضاح لإزالة الحيرة : «من المحتمل أنهم الغجر الأوغاد» ، فقالت چوليا : «لو كان الأمر كذلك ، فلماذا لم تسمعي أنت أيضا صوت الصفير يا

هيلين ؟» فقلت : «تذكرى يا چوليا أن نومى ثقيل ، بينما نومك أنت خفيف» ، فقالت وهى تغلق الباب : «أنا متأكدة من أنه لا شىء » وبعد بضع دقائق سمعتها وهى تدير المفتاح فى باب حجرتها.

وسألها هولمز : « هل كنت أنت وأختك چوليا تغلقان حجرتى نومكما دائما بالمفتاح أثناء الليل؟» ، فقالت هيلين : «كنا نفعل ذلك دائما لأن وجود القردة شيتا والقردة بابون مطلقتى السراح كان يجعلنا نشعر بالاطمئنان بهذه الطريقة وحدها» ، واستحثها هولمز على الاستمرار فى الكلام بقوله : «طبعا ، طبعا ، استمرى فى الحديث من فضلك» .

فقالت : «لم أستطع أن أنام فى تلك الليلة - كان يبدو لى كما لو كان عندى شعور بأن شيئا مخيفا كان سيحدث فى تلك الليلة ، ولقد كانت تلك الليلة ليلة شديدة العواصف - كانت الريح تصفر فى الفضاء وكان المطر يسقط بغزارة فوق الأرض وفى مواجهة النوافذ . وفجأة سمعت صرخة مدوية مفزعة تصدر عن امرأة مرتاعة - وكان ذلك هو صوت أختى .

وقفزت من فراش النوم ، ولففت شالاً حول كتفى واندفعت أجرى فى الطرقة . وعندما فتحت باب حجرتى سمعت صوت صفير يشبه الصفير الذى كانت چوليا قد أدلت بأوصافه لى من قبل ، وبعد لحظات قليلة سمعت صوت صلصلة كما لو كان جسم معدنى يرتطم وجريت نحو باب حجرة أختى ووجدته غير مغلق بالمفتاح وهو يتأرجح حول محوره ، وكانت چوليا تتعلق بالباب وهى منهارة القوى مثل شخص سكران كل السُّكْر . كان وجهها أبيض اللون من شدة الفزع وكانت يداها ممتدتين نحوى طلبا للمساعدة . وعندما أمسكت بها بين ذراعىّ

مدت ركبتاها تحت جسمها وسقطت على الأرض وهى تصرخ وتتلوى من شدة الألم . انحنيتُ فوقها وصرخت أختى چوليا فجأة تقول : «أوه ، يا إلهى ! يا هيلين! إنها مجموعة الثعابين .. مجموعة الثعابين المنقطة الأجسام !» ورفعت يدها فى فتور شديد وأشارت نحو حجرة الدكتور رويلوت . ثم راحت فى إغماءة أخرى .

واندفعت أجرى خارج الحجرة وأنا أنادى زوج أمى بصوت عال ، وقابلته عندما فتح باب حجرته وهو يرتدى منامته . عندما مشى وأصبح بجوار چوليا ، كانت چوليا غائبة عن الوعى . وبالرغم من ذلك أرسل الدكتور رويلوت فى طلب طبيب القرية . وماتت چوليا دون أن تسترد قواها إلى الأبد» وتنهدت هيلين لدى نهاية قصتها .

وسألها هولمز قائلا : «يا آنسة ستونر ، هل أنت متأكدة بشأن الصفير وصوت الترباس المعدنى ؟» فقالت : «باستطاعتى أن أقسم أننى قد سمعته ، ولكن ربما كانت العاصفة قد خدعتنى» .

وسألها هولمز : «هل كانت أختك ترتدى ملابسها ؟» فقالت الآنسة ستونر : «لا ، كانت ترتدى ثياب النوم ، ولكنها كانت تمسك بعلبة ثقاب فى يدها اليسرى وبعود ثقاب فى يدها اليمنى» .

قال هولمز : «هذا يعنى أنها كانت تحاول أن توقد مصباحا عندما شعرت بالفزع الشديد . قولى لى يا آنسة ستونر ، هل فحص الطبيب الشرعى المختص بحالات الوفاة المشتبه فيها أختك ؟» ، قالت هيلين ستونر : «فحصها بكل عناية يا سيد هولمز خصوصا لأن سلوك زوج أمى كان يبدو على الدوام سلوكا غريبا . ولكن الطبيب الشرعى لم يستطع أن يكتشف أى سبب للوفاة . كان باب حجرة نوم چوليا مغلقا من الداخل،

والنوافذ الموجودة فى حجرتها كانت مغلقة «بالسبلونة» وبأكثر من مزلاج. ولقد تم فحص الجدران وأرضية الحجرة واتضح أنها كانت سليمة كل السلامة . والمدخنة واسعة ولكن فيها قضبانا من الحديد أيضا. لا يا سيد هولمز ، يبدو أنه من المؤكد أن أختى كانت بمفردها تماما عندما لاقت حتفها» .

وسألها هولمز : «ألم تكن هنالك أى علامات تدل على استخدام العنف ضدها ؟» .

قالت هيلين ستونر : «لم يستخدم ضدها أى عنف عل الإطلاق» . وسألها الدكتور واطسون قائلا : «ألم تظهر أى علامات تدل على التسمم ؟» ، فقالت هيلين ستونر : «فحصها الطبيب ولم يجد أى آثار للتسمم» .

وسألها هولمز : «وما هو سبب موتها فيما تعتقدين ؟» فقالت هيلين ستونر : «خوف صاف خال من وجود أى سبب مادى – صدمة رعب مفزعة . ولكن ليس عندى أى تصور عما أفزعها» .

وسألها هولمز : «هل كان الغجر يعسكرون فى الإقليم فى وقت الوفاة؟» . فقالت هيلين «نعم» فقال هولمز : «وماذا كانت تعنى عندما ذكرت المجموعة المنقطة الأجسام ؟» ، وبدت الحيرة على وجه هيلين ستونر وهى تقول : «فى البداية يا سيد هولمز ظننت أن چوليا كانت مصابة بالحمى ، وظننت حينئذ أنها كانت تعنى مجموعة من الناس – مجموعة الغجر مثلا . إن الغجر بالفعل يرتدون ثيابا منقطة ويمسكون بمناديل منقطة فى أيديهم. ولذلك ، ربما كانت چوليا تشير إلى ذلك» .

وهز هولمز رأسه وهو يقول : «لست مقتنعًا ، هذه المسألة لها أعماق

أبعد غوراً من ذلك يا آنسة ستونر ، ولكن استمرى فى كلامك من فضلك» .

واستطردت هيلين ستونر تقول : «حدث كل ذلك منذ عامين ، وأصبحت أشعر بالوحدة فى حياتى أكثر مما كنت أشعر بالوحدة من قبل - حتى الأيام القليلة الماضية . ومنذ حوالى شهر واحد ، طلب «برسى أرميتاج» ، وهو صديق كنت قد عرفته لمدة سنوات كثيرة أن يتزوجنى ولم يعارض فى ذلك زوج أمى ، وكنا نخطط للزواج فى فصل الربيع» .

وقال الدكتور واطسون : «ويبدو من ثم أنك كنت على وشك أن تستهلى جزءا أكثر سعادة من حياتك» ، فقالت هيلين ستونر : «كان ذلك هو ما كنت أعتقده ولكن منذ يومين اثنين ، أحضر زوج أمى بعض العمال ليشرعوا فى عمل بعض الإصلاحات فى الجناح الذى نقيم فيه من المنزل . وفتحت فتحة فى جدار حجرة نومى . ولذلك تحتم أن أنتقل للنوم فى الحجرة التى كانت تشغلها أختى قبل موتها بحيث أنام فى نفس فراشها . وفى الليلة الماضية ، بينما كنت هناك وأنا أفكر فى موتها المخيف ، سمعت فجأة صفيرا منخفض الصوت - نفس الصفير الذى كانت جوليا قد وصفته لى - الصفير الذى أسفر عن موتها . وقفزت من فراشى وأضأت المصباح ، ولكننى لم أر أى شىء . وكنت مرتاعة جدا لدرجة أننى لم أكن أستطيع العودة إلى الفراش ، ولذلك ارتديت ملابسى وجلست أنتظر مطلع النهار . وعندما طلع النهار ، اندفعت إلى الخروج من المنزل ، واستأجرت عربة من فندق قريب وسافرت إلى ليزرهيد . ومن هناك ركبت القطار إلى لندن - وهأنذا عندكم» .

قال هولمز : «كان ذلك تصرفا متعقلا منك ، ولكنك لم تقولى لنا

كل شيء» ، فصاحت هيلين تقول : « ولكنني قد قلت لك كل شيء» ، فقال هولمز وهو يشب من مكانه ويزيح إلى الوراء إسورة كم المرأة : «إنك تحاولين حماية زوج أمك يا آنسة ستونر» وكانت خمس علامات حمراء اللون صغيرة الحجم موجودة وهى آثار أربعة أصابع بالإضافة إلى إصبع الإبهام وكانت كلها مرتسمة فوق جلدها الناصع البياض .

وغطت هيلين ستونر على الفور رسغها وما فيه من آثار عنف ، وقالت: «الدكتور رويلوت رجل قوى وربما كان هو لا يعرف مدى قوته الفائقة» .

وظل شرلوك هولمز صامتا لمدة دقائق كثيرة بينما كان يسند ذقنه بيديه ويحملق فى نار المدفأة ، وأخيرا تكلم هولمز قائلا : «يوجد ألف معلومة أحتاج معرفتها يا آنسة ستونر . وليس لدينا لحظة من الوقت نضيعها . من الضرورى أن أذهب إلى ستوك موران اليوم ومن اللازم أن أختبر الحجرات . هل يمكن أن يتم ذلك بدون أن يعرف زوج أمك ؟» .

قالت هيلين : «أنا متأكدة أننا نستطيع تحقيق ذلك يا سيد هولمز . لقد ذكر لى الدكتور رويلوت أنه يعتزم المجيء إلى لندن اليوم فى مهمة عمل مهمة ربما تستغرق طول النهار ، وأنا أستطيع بسهولة أن أبعد الخادم عن المنزل ليكون بعيدا عن طريقنا» .

وصاح هولمز قائلا : «هذا رائع . واطسون وأنا سنكون هناك . ماذا تنوين أن تعملى اليوم يا آنسة ستونر ؟» ، فقالت هيلين ستونر : «عندى مهمتان أرجو إنجازهما فى المدينة ، ولكننى سأعود فى قطار الساعة الثانية عشرة» ، فقال هولمز: «ونحن سنصل فى وقت مبكر مما بعد الظهيرة . إننى عندى أيضا بعض المهام لأنجزها أيضا» .

ووضعت هيلين ستونر شبكة حجاب وجهها السوداء فوق وجهها وهى

تنهض قائلة : «أشكرك يا سيد هولمز وأشكرك أنت أيضا يا دكتور واطسون، لقد خَفَّتْ أثقال قلبى منذ أفضيت بمتاعبى إليكما» وغادرت الحجرة .

وقال هولمز وهو يضطجع فى الكرسى الذى كان يجلس عليه : «ماذا تفهم من الموضوع كله يا واطسون ؟» .

وأجابه واطسون بقوله : «مهمة من المهام القاتمة الغامضة الشريرة» .
فقال هولمز : «ولكن ، لو كانت الآنسة ستونر على صواب فيما ذكرته من أن الجدران صلبة بلا شقوق أو فتحات وأنه لم يكن أحد يستطيع أن يكون قد دخل من الباب أو من إحدى النوافذ أو من المدخنة لكان من الضرورى أن تكون أختها وحيدة تماما عندما واجهت نهاية حياتها الغامضة» .

قال واطسون : «ولكن ماذا بشأن ذلك الصفير المتكرر والكلمات الغريبة التى قالتها المرأة وهى تحتضر - بشأن المجموعة المرقطة ؟» وقال هولمز : «لست أدرى» .

قال واطسون : «حسنا ، نحن نعرف أن الغجر كانوا فى نفس المكان ، وكانوا أصدقاء للدكتور رويلوت ، ونحن نستطيع أيضا أن نخمن أن الطبيب كان يريد أن يمنع زواج ابنة زوجته وربما كان قد أوعز إلى الغجر أن يخيفوا ويرعبوا ابنة زوجته ، وربما كان صوت الارتطام المعدنى بسبب الغجر وعبثهم برتاج بعض الأبواب» .

قال هولمز : «أنا لا أتفق معك تماما فيما تقول يا واطسون ، وهذا هو السبب فى أننا ننوى الذهاب إلى ستوك موران اليوم ... ولكن ما هذا الضجيج ؟ أى شيطان يحدثه ؟» .

وانفتح الباب فجأة على أقصى اتساعه ووقف رجل ضخم الجسم فى فتحة الباب . كان الرجل طويل القامة جدا لدرجة أن الحافة العليا للقبعة كانت تلامس الإطار العلوى للحافة العليا من الباب . وكان الرجل عريض الجسم لدرجة أن جسمه كان يسد كل فتحة الباب من أقصاها إلى أقصاها . وكانت ملابسه خليطا عجيبا من ملابس رجل يحترف مهنة وملابس رجل ريفى ، يرتدى قبعة سوداء أسطوانية القاع ومعطفا طويلا وزوجا من الأحذية ذات الرقبة الطويلة . وكان سوط من سياط الصيد يتأرجح فى يده ، وكان وجهه الضخم فى ملامحه مصفرا من جراء الشمس وهو ينظر نحو هولمز ونحو واطسون فى حملقة يتطاير منها الشرر والشر ، وكانت عيناه الغائرتان فى محجريهما ، وكان لون عينيه الأحمر ، وكان أنفه الشامخ فى تعال ، كان كل ذلك يجعله يبدو كالنسر الكاسر !

وصاح الرجل قائلا : «من منكما هو هولمز ؟» وقال المخبر السرى بهدوء : «أنا ، ولكن من أنت ؟» وأجاب الرجل قائلا : «أنا الدكتور جريمسباى رويلوت من بلدة ستوك موران» فقال هولمز ببرود : «حقا يا دكتور . اجلس من فضلك » وزأر الرجل يقول : «لن أفعل شيئا من ذلك . لقد اقتفيت أثر ابنة زوجتى إلى هنا . ما نوع الكلام الفارغ الذى كانت تقوله لكما ؟» .

قال هولمز وهو يستدير نحو واطسون : «هات لى المدفأة فالجو مشبع إلى حد ما بالرطوبة» وصرخ الرجل العجوز باهتياج ، وهو يقول : «ماذا كانت تقول لكما؟» ، واستطرد هولمز قائلا متجاهلا الرجل : «أنا أسمع على الرغم من أن الأزهار تتفتح» ، فقال الرجل : «أنت تتجاهل وجودى. هل تجرؤ على ذلك؟» وخطا خطوة فى اتجاه هولمز وهو يرفع السوط فى يده ويقول : «أنا أعرفك . أنت هولمز الذى يتدخل فى شئون

الناس . هولمز الفضولى !! هولمز صنيعة إدارة سكوتلانديارد الجاهز للاستخدام !» ، وقاطعه هولمز بقوله : «خطبتك مسلية . عندما تنصرف من هنا أغلق الباب وراءك لأننى أشعر بتيار هوائى بارد» .

وصاح الدكتور رويلوت قائلا : «سأنصرف من هنا عندما أفرغ فى أذنيك كل ما عندى من كلام . ألا تخاف من التدخل فى شئونى ! أنا رجل خطير عندما يعارضنى أحد . احذر لنفسك وتأكد من أنك بعيد عن شئونى الخاصة، وإلا أنزلت بك كل ما تنزله إلى قضيب تحريك النار فى المدفأة ! تستطيع فقط أن تراقبنى» .

وعندما قال ذلك ، خطا بضع خطوات للأمام وأمسك بقضيب تحريك النار فى المدفأة ثم قام بثنى القضيب الحديدى بين يديه الكبيرتين ثم رمى بالقضيب المحنى المصنوع من الحديد فى المدفأة وانسحب خارجا من الحجرة» .

وقال هولمز وهو يضحك : «إنه يبدو كشخص ودود للغاية . إننى لست ضخما مثله ، ولكن لو كان قد بقى معنا لكنت قد أظهرت له أن قوتى لا تقل عن قوته» ، وقبل أن يفيق واطسون ويسترد نظراته المحملقة فى الفضاء ، كان شرلوك هولمز قد أمسك بالقضيب الحديدى وفرده على استقامته مرة أخرى وهو يقول : «كيف يجرؤ هو على أن يحط من شأنى ويصفنى بأننى أعمل لحساب إدارة سكوتلانديارد ! ولكننى آمل ألا يعاقب هيلين ستونر لحضورها هنا ... والآن ، يا واطسون ، بمجرد أن نتناول وجبة الإفطار ، عندى بعض المهام لكى أنجزها فى إدارة الوثائق الرسمية» .

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد الظهر عندما عاد شرلوك هولمز من مهمته . وشاهد واطسون فى يده شريحة من الورق الأزرق اللون

كلها بالملاحظات والرسوم التوضيحية .

وفسر هولمز ذلك بقوله : «لقد رأيت وصية زوجة الدكتور رويلوت المتوفاة ، ولكى أعرف بالضبط قيمة الميراث ، كان يلزم على أن أحدد كم قيمة الاستثمار لمدخراتها فى الوقت الراهن . دخلها السنوى الذى آل إليها عن طريق أسرتها هو (٥٧٠) جنيها . وكل واحدة من ابنتيها تستحق (٢٥٠) جنيها كل سنة عند زواجها» .

وقال واطسون : «ولو حدث ذلك لن يتبقى للطبيب مبلغ كاف ليعيش به» ، فقال هولمز : «هذا صحيح . ولذلك ومن خلال تحريات قمت بها أمكن لى إثبات أن الدكتور رويلوت كان لديه دوافع قوية للحيلولة دون زواج چوليا كما أن لديه دوافع قوية لمنع زواج هيلين الآن. ولذلك يا واطسون ، ولأن الرجل العجوز يعرف أننا نبحث شئونه لا نجرؤ على أى تأخير . إننى سأقوم باستدعاء إحدى العربات ، وسنخرج إلى محطة ووترلو . أوه ، وأنا أرجوك أن تحضر مسدسك معك يا واطسون ليكون الحوار ممتازا إذ الحوار مع رجل يستطيع أن يثنى القضبان المعدنية الخاصة بتحريك نيران المدفأة مستخدما فى ذلك يديه فقط ولاشىء سوى يديه» .

وكان ركوبهم القطار من محطة ووترلو إلى قرية ليزرهيد مصحوبا بركوبهم إحدى العربات لتمر بهم بين القرى المزهرة النباتات التى كانت تفوح منها الروائح الزكية لفصل الربيع .

وبعد ركوبهم العربة لمسافة أربعة أو خمسة أميال وهما صامتان ، لمس هولمز بأصابع يده كتف واطسون وربت عليه عدة مرات وأشار بيده نحو مكان ملىء بالأعشاب . وكان هنالك فوق مكان منحدر أشجار تبرز باسقة عند منزل قديم.

وسأل هولمز سائق العربة قائلا له : «هل ذلك المنزل هو ستوك موران ؟ هل ذلك هو المنزل الذى تجرى فيه الإصلاحات ؟» .

وقال السائق : «نعم ياسيدى – إنه منزل الدكتور جريمسباى رويلوت. ولكننى أقترح عليكما طريقا أقصر بالذهاب من هذا المدق سيرا على الأقدام عبر الحقول . الطريق هناك حيث تنتظر السيدة الشابة» .

وظلل هولمز عينيه بيديه ليتفادى أشعة الشمس ولينظر بعيدا حيث كان يشير سائق العربة . كانت هيلين ستونر تقف هناك فى انتظارهما . وترجل هولمز وترجل واطسون من العربة ، وعادت العربة أدراجها فى اتجاه ليزرهيد .

وقال هولمز : «من المناسب جدا أن يعتقد السائق أننا هنا للقيام بمهمة إصلاح المنزل . إننا لانريده أن يرتاب بشأن زيارتنا هنا» .

وهرعت هيلين ستونر تتقدم لكى ترحب بالرجلين ، وكان وجهها يشى بفرحتها ، وهى تقول : «لقد كنت أنتظركما بكل شوق ، كل شىء قد تم على ما يرام . لقد ذهب الدكتور رويلوت إلى المدينة ولن يعود قبل المساء» .

وقال لها هولمز : «لقد قابلنا الدكتور بالفعل» واستمر فى الكلام لكى يخبر هيلين ستونر عن زيارة زوج أمها لهما فى صباح ذلك اليوم .

وشحب لون وجه المرأة كل الشحوب إلى حد الابيضاض ، وهى تقول: «يارب السماء ! لقد كان يتتبع خطواتى ويقتفى أثرى . هذا الرجل ماكر جدا . إننى لا أعرف على الإطلاق متى سأكون فى مأمن منه» .

وقال لها هولمز : «إن الدكتور رويلوت هو الذى يلزمه أن يكون على

حذر لأنه سيجد حالا أن شخصا أكثر منه دهاء يتابعه فى كل خطواته . ولكن كل ما تحتاجين أن تفعليه يا آنسة ستونر هو أن تغلقى باب حجرتك من الداخل فى هذه الليلة . ولو أنه تحوّل إلى العنف ، سنأخذك بسلام إلى منزل خالتك . والآن ، يلزم ألا نفقد أى جزء من الوقت ، ولذلك ، أرجوك أن تمضى بنا للذهاب إلى المنزل لنتمكن من فحص الحجرات» .

كان المبنى الحجرى الضخم فيه جزء رئيسى عالٍ وجناحان ولهما شكل منحنٍ . كان الجناح الأيسر من المنزل خرباً ونوافذه محطمة متهالكة القدم . وكان الجزء الرئيسى أفضل حالا من الجناح الأيسر للمنزل ، وكان الجناح الأيمن إلى حد ما حديث المبانى وتوجد ستائر فوق نوافذه ، وكان الدخان يتصاعد من المدخنة الموجودة به . كان هذا الجناح الأيمن من المنزل إذن هو الجناح الذى كانت تعيش بداخله الأسرة الآن . وكانت بعض السقالات قد نُصبتْ على أحد الجدران ، وكانت بعض الأحجار قد تم انتزاعها بذلك الجدار، ولكن لم يكن أحد العمال موجودا الآن .

ومشى هولمز جيئة وذهابا فوق الحشائش المهملة ، وفحص بعناية النوافذ من الخارج . وتوقف عن المشى عند آخر نافذة بالقرب من الأحجار المنزوعة من الجدار ، وسأل هيلين ستونر قائلا لها :«هل هذه هى حجرتك الأصلية ؟»

وقالت هيلين :«نعم ياسيد هولمز ، والحجرة التى تليها كانت هى حجرة أختى . والحجرة الأقرب للجزء الرئيسى من المبنى هى حجرة زوج أمى» .

وسأل هولمز :«ولماذا بدأت الإصلاحات فى حجرة نومك؟ لايبدو أى عيب فى هذا الجدار» .

وقالت الآنسة ستونر : «لايوجد أى عيب فى الجدار . أنا أعتقد أنه مجرد عذر لتحريكى من حجرتى» .

وقال هولمز : « آه ، يجوز أن يكون الأمر كذلك . والآن ، على الجانب الآخر من هذا الجناح يوجد ممر ينفتح عليه باب حجرة النوم الخاصة بك . هل هذا صحيح ؟» فقالت : «نعم» ، وقال هولمز :«هل توجد نوافذ فى الممر ؟» ، فقالت : «نعم ، نوافذ صغيرة جدا . إنها صغيرة جدا بحيث لا تسمح بمرور أى شخص منها» .

وقال هولمز : «ولذلك لايستطيع أى شخص أن يدخل من ذلك الجانب . والآن يا آنسة ستونر ، ادخلى الحجرة الخاصة بشقيقتك ، وأغلقى المزاليج لكى أفحصها» .

وفعلت هيلين ستونر ما طلبه منها هولمز ، وبالغا ما بلغت محاولات المخبر السرى ، فهو لم يستطع أن يفتح مزاليج الباب . وفحص مفصلات الباب بالعدسة المكبرة ، ولكنها كانت مصنوعة من الحديد الصلب وغائرة فى الحجر . وأخيرا ، خطا هولمز للوراء ، وقال : «لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من خلال هذه الأرتجة المرتجة . ولذلك يتعين علينا أن نفحص الحجرات من الداخل» .

واقتادت هيلين ستونر هولمز ومعه واطسون من خلال باب جانبى صغير فى ممر طليت جدرانه باللون الأبيض كانت الحجرات الثلاث تفتح عليه أبوابها. ولم يهتم هولمز بأن يفحص حجرة النوم الأخيرة ، ولكنه ذهب على الفور إلى الحجرة الوسطى ، الحجرة التى كانت تشغلها الآن هيلين ستونر ، وهى الحجرة التى كانت أختها قد ماتت بداخلها .

كانت حجرة صغيرة مريحة ، لها سقف منخفض وبها مدفأة كبيرة . وكان دولاب بني اللون موجودا بأدراجه الكثيرة فى أحد الأركان . وكانت منضدة عليها أدوات الزينة للنساء موجودة على الجانب الأيسر للنافذة ، كما كان يوجد كرسيان صغيران فوق سجادة صغيرة الحجم فى وسط الحجرة ليكتمل بذلك أثاث الحجرة .

وجذب هولمز أحد الكراسى إلى ركن الحجرة ، وجلس يحملق فى كل أرجاء الحجرة وهو يدرس كل جزء من تفاصيلها .

وأشار فى النهاية إلى حبل الجرس السميك المعلق بجوار السرير وتستقر الشرابة المعقودة فى آخر طرفه فوق الوسادة ، ثم سأل :«من أين يدق هذا الجرس ؟»

وأجابت هيلين :«فى حجرة صاحب المنزل . لماذا تسأل هذا السؤال» ، قال هولمز : «إنه يبدو جديدا أكثر من الأثاث» ، فقالت هيلين : « نعم. لقد وضع هناك منذ عامين ، ولكن أختى لم تستعمله أبدا ، إننا نحصل على ما نريده بأنفسنا» فقال هولمز : «إنه إذن يبدو كتكلفة غير ضرورية» .

وانصرف هولمز بعد ذلك إلى تركيز اهتمامه فى الأرضية والجدران . كان يزحف على يديه ورجليه جيئة وذهابا وهو يفحص الشقوق بين أجزاء الأرضية ، ثم فحص أيضا الجدران ، ومشى أخيرا نحو السرير وحملق فيه وفى الجدار الموجود خلف السرير ، ثم أمسك بحبل الجرس ، وشده لكى يقرع الجرس ، ثم صاح يقول :«إنه لاصوت يصدر عنه . إنه غير متصل بأى سلك كهربى ، ولذلك لا يمكن أن يدق . إنه مثبت فقط فوق وسيلة تثبيت فى فتحة للتهوية... كم يبدو هذا غريبا !»

وقال واطسون : «إننى حتى لم ألاحظ وجوده» ، وتمتم هولمز يقول :

«غريب جدا . ولكن توجد نقطة أخرى غريبة فى الحجرة .. لماذا يفتح البناء ممرا للهواء من حجرة إلى حجرة أخرى فى حين أنه كان يمكن له بسهولة تامة أن يعمل الفتحة فى الهواء الطلق ؟ ... قولى لى يا آنسة ستونر ، متى تم عمل هذه الفتحة من فتحات التهوية فى الجدار ؟» .

فقالت :«تقريبا فى الوقت الذى أدخل فيه حبل الجرس» . وقال هولمز: «هذا هو ما توقعته . تغييرات مثيرة جدا للاهتمام ـ أحبال أجراس، والأجراس لاتدق ، ومنافذ للتهوية لا تجدى فى التهوية .. والآن، يا آنسة ستونر ، أريد أن أرى حجرة نوم زوج أمك» .

وكانت حجرة نوم الدكتور جريمسباى رويلوت أوسع من حجرتى ابنتى زوجته ، ولكن الأثاث الموجود فيها كان بسيطا مثل أثاث الحجرتين. ودار هولمز فى الحجرة وفحص الدولاب الصغير المجاور للسرير ، ورفًا خشبيا صغيرا عليه كتب طبية ، وكرسيا ذا مساند بجوار السرير . ومنضدة مستديرة ، وخزينة حديدية ضخمة الحجم . ونقر هولمز عليها ، وهو يقول :«ماذا بداخلها ؟»، فقالت هيلين :«أوراق خاصة بمهنة زوج أمى» ، فقال هولمز :«هل سبق لك بالفعل مشاهدة هذه الأوراق بداخلها؟» ، فقالت هيلين :«مرة واحدة فقط منذ سنوات مضت» .

وسألها هولمز : «هل يمكن أن تكون قطة بداخل الخزينة ؟» ، وصاحت هيلين تقول : «ما هذه الفكرة الغريبة !» ، فقال هولمز وهو يمسك بفنجان للبن من فوق الخزينة .

وقالت هيلين :« ليس عندنا قطة يا سيد هولمز ، ولكن زوج أمى عنده قردة من نوع شيتا وقردة أخرى من نوع البابون» ، فقال واطسون : «حسنا ، هذا الفنجان الصغير من فناجين اللبن لايكاد يكفى قردة كبيرة من نوع شيتا»، واستمر هولمز فى متابعة فحوصه .

ووقف هولمز أمام الكرسى الخشبى وفحص قاعدة الكرسى بعناية بعدسته المكبرة . وبعد دقائق كثيرة نهض واقفا ، وهو يقول : «أشكرك - انتهت المسألة تماما ... أهلا ! ما هذا ؟» .

كان الشيء الذى جذب اهتمام هولمز هو كمامة كلب صغيرة الحجم معلقة فى أحد أركان السرير . كانت ملفوفة ومربوطة كما لو كانت معدة لعمل أنشوطة .

وأشار هولمز بإصبعه نحو الأنشوطة وقال : «إنه عالم شرير يا واطسون خصوصا عندما يوجه رجل ماهر ملكاته الذهنية نحو الجريمة» . ثم استدار نحو هيلين وقال : «لقد رأيت ما يكفى يا سيدتى العزيزة . سأخرج الآن لأتمشى فوق الأعشاب» .

ومشى واطسون ومعه هيلين ستونر وراء هولمز جيئة وذهابا بضع مرات قبل أن يبدد المخبر السرى هدوء الصمت التام بقوله : «يا آنسة ستونر ، يجب أن تفعلى بالضبط ما أقوله لك ، لأن حياتك ربما تعتمد على ذلك» . فقالت هيلين : «أنا سأفعل ما تقوله مهما يكن يا سيد هولمز» .

وقال لها هولمز : «إذن ، استمعى لكلامى بكل عناية . النافذة فى حجرة نومك تواجه الطريق ، وفندق القرية فى الجانب الآخر . واطسون وأنا سنكون فى الفندق فى هذه الليلة . وعندما يذهب زوج أمك إلى فراش نومه افتحى مغاليق النافذة وضعى مصباحك فى النافذة كإشارة لنا. ثم يتعين عليك بعد ذلك أن تذهبى إلى حجرتك القديمة لكى تقبعى بداخلها طوال الليل . وواطسون وأنا بعد ذلك سنغادر الفندق وسندخل إلى حجرتك الجديدة حيث نقضى ليلتنا ونكتشف ماذا يسبب الأصوات الغريبة» .

وابتسمت الآنسة هيلين ستونر وهى تقول : «ما هذا يا سيد هولمز ؟

أنا أعتقد أنك تعرف كل شيء عن الموضوع فعلا !» ، فقال هولمز وهو يبتسم : «ربما كنت أعرف كل شيء عنه ولكن يلزم أن نرحل الآن لأنه لو عاد الدكتور رويلوت ليجدنا هنا سيضيع كل شيء» .

واستأجر واطسون وهولمز حجرة أمامية فى الطابق العلوى من فندق كراون . ومن نافذة حجرتهم بالفندق كانا يستطيعان أن يشاهدا بوضوح جناح حجرات النوم فى ستوك مارون مانور هاوس . وأخيرا فى عتمة الغسق استطاعا أن يشاهدا الدكتور جريمسباى رويلوت وهو يقود عربته يدخل من بوابة المنزل .

وبينما كان واطسون وهولمز يجلسان سويا فى الظلام قال هولمز : «عندى بعض الشك فى جدوى أن تأتى معى الليلة يا واطسون .. يوجد خطر جسيم» وأجابه واطسون بقوله : «لو كنت تعتقد أننى يمكن لى أن أقدم مساعدة فأنا بكل تأكيد سأمضى معك قُدُمًا . ولكن ماذا شاهدت فى تلك الحجرات ليجعلك تعتقد أنه سيكون هنالك خطر؟» .

قال هولمز : «لم أشاهد شيئا غير عادى فيما عدا حبل الجرس وفتحة التهوية، ولكننى عرفت أننا سنواجه الرياح حتى قبل مجيئنا فى أعقاب هيلين ستونر إلى ستوك موران» . فقال واطسون : «يا هولمز ، كيف استطعت أن تعرف ؟» ، فقال هولمز : «يا عزيزى واطسون هل أنت تتذكر عندما كانت الآنسة ستونر تحكى لنا قصتها هذا الصباح ، قالت إن أختها كانت قد شمت رائحة السيجار الهندى للدكتور رويلوت . لذلك، استنتجت أنا أنه كانت توجد فتحة بين الحجرتين . وكان من الضرورى أن تكون فتحة صغيرة وإلا لكن رجال الشرطة قد اكتشفوا وجودها» .

وقال واطسون : «ولكن ، هل يوجد ما يثير الارتياب فى ذلك ؟» ،

فقال هولمز: «يثير الارتياب فقط الملابسات الغريبة التى تتمثل فى إيجاد فتحة بين الحجرتين وحبل الجرس المدلى منها والمرأة التى تنام بين هاتين المصادفتين وتموت» .

وتمتم واطسون فى قنوط : «أنا لا أستطيع أن ألاحظ وجود أى رابطة بين هذه الأشياء» .

وسأله هولمز : «هل أنت قد لاحظت أى شىء غريب بشأن السرير ؟» ، فقال واطسون : «لماذا السؤال ؟ لا» فقال هولمز : «كان السرير ملصقا بأرضية الحجرة حتى لا يمكن تحريكه من مكانه . كان من اللازم أن يكون السرير موجودا مباشرة تحت فتحة التهوية وتحت حبل الجرس أو تستطيع أن تقول الحبل فقط لأنه لم يكن هنالك جرس لكى يقرع بواسطة الحبل» .

قال واطسون : «يا هولمز ، لقد بدأت أنا أفهم ما ترمى إليه . أتضرع إلى الله أن نصل هناك فى وقت ملائم لكى نمنع جريمة فظيعة أخرى من الوقوع» .

وقال هولمز : «وأنا أيضا أتضرع إلى الله أن نصل فى الوقت الملائم يا واطسون لأنه عندما يصبح الطبيب مجرما فهو من أشرس أنواع المجرمين لأنه يمتلك الأعصاب والمعرفة معا» .

وجلس واطسون وهولمز لمدة ساعات عديدة وهما يدخنان غليونيهما ويراقبان المنزل . وأخيرا ، فى حوالى الساعة التاسعة ليلا ، انطفأت آخر الأنوار بالمنزل وغرق المنزل فى ظلام دامس .

وجلسا لمدة ساعتين بعد ذلك ، وبالضبط عندما دقت الساعة فى حجرة نومهما معلنة الساعة الحادية عشرة ليلا ، شاهد واطسون وهولمز توهج الإشارة الضوئية من حجرة النوم الوسطى فى ستوك موران .

وقال هولمز وهو يقفز واقفا على قدميه ممسكا بعصاه الرفيعة : «تلك هى إشارتنا» .

وبعد ذلك بلحظات قليلة ، كان الرجلان قد خرجا إلى الطريق المظلم والرياح الرطبة تهب وتلفح وجه كل منهما . ولم يجدا صعوبة فى الدخول إلى أرض المنزل القديم لأن الجدار المحيط به كان محطما فى أماكن كثيرة . وشقا طريقهما بين الأشجار والأعشاب ، وعندما كانا على وشك أن يدخلا من النافذة المفتوحة ، خرج من بين الشجيرات حيوان فى حجم الطفل مرعب المنظر كان مختبئا بين مجموعة من الشجيرات وهو يجرى بسرعة ويعبر الممشى ليغيب فى الظلام .

وأصاب الفزع كلا من واطسون وهولمز لمدة لحظة واحدة ثم انفجر هولمز فى الضحك بصوت هادئ ، واقترب بشفتيه من أذن واطسون وتمتم قائلا له : «ذلك هو حيوان البابون الخاص بالطبيب . ولكنه قد ابتعد الآن ونحن نستطيع أن ندخل» .

وخلع كل من الرجلين نعليه ، ودخلا إلى حجرة النوم وأغلق هولمز بهدوء المزلاج فى النوافذ ، وحرك المصباح بعيدا عن النافذة ووضعه فوق المنضدة ، ونظر فيما حوله .

وهمس هولمز فى أذن واطسون : «يجب أن نظل صامتين تماما ويلزم أن نجلس بدون إضاءة وإلا فهو سيشاهد النور من خلال الفتحة» ، وأومأ واطسون برأسه موافقا .

وقال هولمز : «من الضرورى ألا ننام . اجعل مسدسك جاهزا .. سأجلس على الفراش وستجلس أنت على الكرسى» .

وجلس واطسون على الكرسى الذى أشار إليه هولمز ، ووضع مسدسه فى صمت فوق المنضدة . ووضع هولمز عصاه فوق السرير بجواره وبجوار

العصا وضع هولمز علبة ثقاب فوق فتيلة واحدة من الشموع ثم أطفأ نور المصباح وأصبحت الحجرة حالكة الظلام .

وجلس كل من واطسون وهولمز بحيث كانت تفصل بينهما مسافة أقدام قليلة وهما يتلوان صلاة صامتة فى فزع . ودقة الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل . ثم دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ثم الساعة الثانية ثم الثالثة ، وكان الرجلان لا يزالان ينتظران .

وفجأة ظهر شعاع من الضوء من فتحة التهوية ثم اختفى بنفس السرعة التى ظهر بها لكى يحل محله فقط ضوء تغشاه عتمة إلى حد ما كما لو كان صادرا عن مصباح نصف معتم الزجاج . وسرعان ما تسربت إلى الحجرة رائحة زيت محترق فوق معدن شديد السخونة . وسمعت حركة صادرة من الحجرة المجاورة ثم ساد الصمت مرة أخرى . واستمر الصمت مخيما لمدة نصف ساعة ، وأصبحت الرائحة أقوى نفاذا.

ثم صدر صوت آخر من حجرة الطبيب .. صوت لطيف مثل صوت الصفير الصادر عن فتحة فى غلاية تغلى بها كمية كبيرة من الماء وعند سماع هذا الصوت ، قفز هولمز من السرير ، وأشعل عود ثقاب وضرب بعصاه بشدة على حبل الجرس .

ثم قال هو يستمر فى ضرباته : «هل رأيتها يا واطسون» وصاح واطسون يقول : «لا . لم أشاهد أى شيء . توهج إشعال عود ثقاب أعمانى لحظة ولكننى أسمع صوت صفير خافت واضح» .

وتوقف هولمز عن الضربات ووقف يتطلع بوجه كوجوه الأموات الشاحب المملوء بالرعب إلى فتحة التهوية .

وفجأة ، بددت صيحة مرعبة الصمت - صرخة كانت تعلو وتعلو

لتتلاشى فى غياهب الألم والفزع والغضب وصدمت الصرخة كلا من واطسون وهولمز وسببت لك منهما جمود الأموات حتى تلاشى كل صدى لتلك الصرخة الرهيبة .

وقال واطسون وهو يشهق : «ماذا يعنى هذا؟» ، وأجابه هولمز بقوله : «هذا يعنى أن كل شيء قد انتهى . وربما كان ذلك لكى يتحقق الأفضل خذ مسدسك وسندخل حجرة الدكتور رويلوت» .

وأضاء هولمز المصباح وتقدم وهو يحمله فى «الطرقة» ، وخبط على باب حجرة نوم الطبيب ، وعندما لم يلق أى إجابة ، أدار الأكرة ودفع الباب وانفتح الباب .

ووقفا فى فتحة الباب ونظرا بداخل الحجرة . وكان يوجد فوق المنضدة مصباح له باب نصف مفتوح وكان المصباح يلقى ضوءاً على الخزينة الحديدية التى كان بابها مفتوحا . وبجوار المنضدة ، فوق كرسى من الخشب ، كان يجلس الدكتور جريمسباى رويلوت وهو يرتدى منامة طويلة . وكان كاحلاه يبرزان عاريين منها ، وكانت قدماه مجروحتين ينزف منهما الدم داخل شبشب تركى مفتوح من الخلف وكانت المشنقة الطويلة تمتد فوق معمله الذى كان واطسون وهولمز قد شاهداه من قبل معلقا فوق الفراش .

وكان رأس الطبيب مرفوعا ، وكانت فى عينيه نظرة ثاقبة ثابتة فى حملقة نحو السقف وكانت حية صفراء اللون غريبة الشكل بها نقاط بنية اللون تلتف حول رأسه .

وهمس هولمز قائلا : «المجموعة ! المجموعة المنقطة!» وخطا واطسون خطوة إلى الأمام . وفى لحظة واحدة بدأ رأس الحية الغريبة الشكل يتحرك وبرز من شعر الطبيب رأس الحية ورقبتها المنتفخة .

وصاح هولمز يقول : «إنها من أفاعى المستنقعات . وهى من أكثر أنواع الحيات قدرة على التسبب فى الموت لمن تلدغه لدغة واحدة وهذا النوع من الحيات يوجد فى الهند حيث موطنها الأصلى ومن الضرورى أن الدكتور رويلوت قد مات بعد عشر ثوان فقط بعد أن عضته الحية . آه، لقد أصبح المجرم ضحية الجريمة التى كان قد خططها لشخص غيره !» .

وبينما كان هولمز يتكلم أمسك لجام الكلب وبآخره الأنشوطة من معمل الطبيب المتوفى ، ورمى الأنشوطة حول رقبة الحية ، وعندما أحاطت الأنشوطة برقبة الحية شد الخيط واستحكمت الأنشوطة حول رقبة الحية ، واستطاع هولمز أن يجذب الحية ليبعدها عن رأس الطبيب وحملها حتى صارت على مسافة ذراع واحد من الخزينة الحديدية ، ثم رمى الحية بداخل الخزينة وأغلق واطسون بسرعة بابها .

وبعد أن تنفس واطسون الصعداء ، واستدار نحو هولمز وقال له : «والآن يا هولمز هل توافق أن تزودنى بمعرفة مالا أعرفه حتى الآن ؟ كيف نجحت فى أن تحل طلاسم هذه القضية لتكون موجودا فى الوقت المناسب لتمنع وقوع جريمة رهيبة أخرى ؟» .

وبدأ هولمز يقول : «فى البداية يا عزيزى واطسون ، توصلت إلى قناعة خاطئة . أنا أيضا اعتقدت أن كلمات چوليا ستونر وهى تموت كانت تشير إلى الغجر . ولكن ، عندما فحصت المنزل تحققت أن أى شىء قد تسبب فى قتل چوليا ستونر ويهدد الآن حياة أختها لم يكن من الممكن أن يأتى من خارج المنزل .

«وعندما تحققت أن حبل الجرس كان لا يفضى إلى جرس ، ثم شاهدت فتحة التهوية ورأيت السرير مثبتا فى أرضية الحجرة ، شككت فى أن الحبل إنما يستخدم كقنطرة لمرور شىء ما آت من حجرة الطبيب من

فتحة التهوية لينزل هذا الشيء فوق السرير . وعلى الفور خطرت فى ذهنى فكرة الثعبان فى ضوء معرفتى أن الطبيب كان يحتفظ ببعض مخلوقات الهند ليجرى عليها التجارب .

«وفكرة استخدام نوع من السموم لا يظهر أثره فى أى اختبار كيميائى يمكن أن تطرأ بذهن رجل حاذق بارد الأعصاب غير مقدر للعواقب خصوصا عندما يكون قد تلقى تدريبه الطبى فى بلاد الشرق الأقصى . وبعدئذ سيخفى على عينى الطبيب الشرعى أن يلاحظ الثقبين الصغيرين حيث عمل النابان اللذان يحملان سم الأفعى عملهما فى الضحية الملدوغة (خصوصا عندما لا يجد الطبيب أى آثار للسم كسبب للوفاة فى جسم الضحية» .

وسأله واطسون قائلا : «ولكن ما سبب الصفير يا هولمز؟» فقال هولمز: «كان من اللازم أن يستدعى الطبيب الحية لتعود إلى حجرته ، ولذلك من المحتمل أنه قد درّبها باستخدام اللبن لكى تعود عند إشارة معينة - الصفير . كان يضع الثعبان على فتحة التهوية ، وعندما تمر الحية من فتحة التهوية تزحف هابطة على الحبل لتستقر فى السرير . وبعد فترة قصيرة أو بعد فترة طويلة من الوقت كانت الحية ستهاجم الضحية» .

وسأله واطسون فى حيرة : «وأنت قد وصلت إلى هذه الاستنتاجات بعد فحص حجرة الآنسة ستونر ؟» فقال هولمز : «نعم ، إننى لم أكن حتى ذلك الحين قد فحصت حجرة نوم الطبيب ، ولكن عندما فحصتها تأكد فى ذهنى كل شيء . وعندما فحصت الكرسى الخاص به ، وهو نفس الكرسى الذى يجلس عليه الآن وهو ميت ، رأيت أنه كان قد اعتاد الوقوف عليه - وكان يتعين عليه أن يفعل ذلك لكى يصل إلى فتحة

التهوية . والخزينة ، وفنجان اللبن ، والأنشوطة فى طرف حبل لجام الكلب أزالت كل الشكوك» .

وسأله واطسون : «وماذا بشأن الصوت المعدنى الذى سمعته الآنسة ستونر؟» فقال هولمز : «كان زوج أمها يغلق الخزينة الحديدية فور أن يجعل الحية بداخل الخزينة» .

وسأله واطسون : «وعندما كنا ننتظر فى ظلام حجرة الآنسة ستونر ، ماذا جعلك تشعل عود الثقاب فجأة ؟» ، فقال هولمز : «سمعت فحيح الأفعى ، ولذلك هاجمتها» .

فقال واطسون : «ودفعها ذلك إلى أن تعود أدراجها من خلال فتحة التهوية» . فقال هولمز : «نعم ، ولكن ضربات عصاى أثارت حفيظتها لدرجة أنها هاجمت أول شخص رأته - هاجمت صاحبها ! وبهذه الطريقة ربما كنت أنا مسئولا عن وفاة الدكتور رويلوت ، ولكن لن يقلقنى ذلك» .

وقال واطسون : «ليس الأمر كذلك بالتأكيد يا هولمز . إن ما فعلته لا ينحصر فى حل لغز وفاة چوليا ستونر ، ولكنه يمتد لتصل آثاره إلى إنقاذ هيلين ستونر أيضا» .

وبعد الفراغ من حل اللغز الغامض حمل واطسون وهولمز إلى هيلين ستونر المفزوعة نبأ موت زوج أمها ، ثم أخذاها إلى منزل خالتها فى قطار الصباح .

وبمجرد إبلاغ الشرطة ، تم إجراء تحقيق رسمى وأسفر عن نتيجة أن الطبيب كان قد قتل قضاءً وقدرا بالصدفة بينما كان يلعب بثعبانه الخطير .

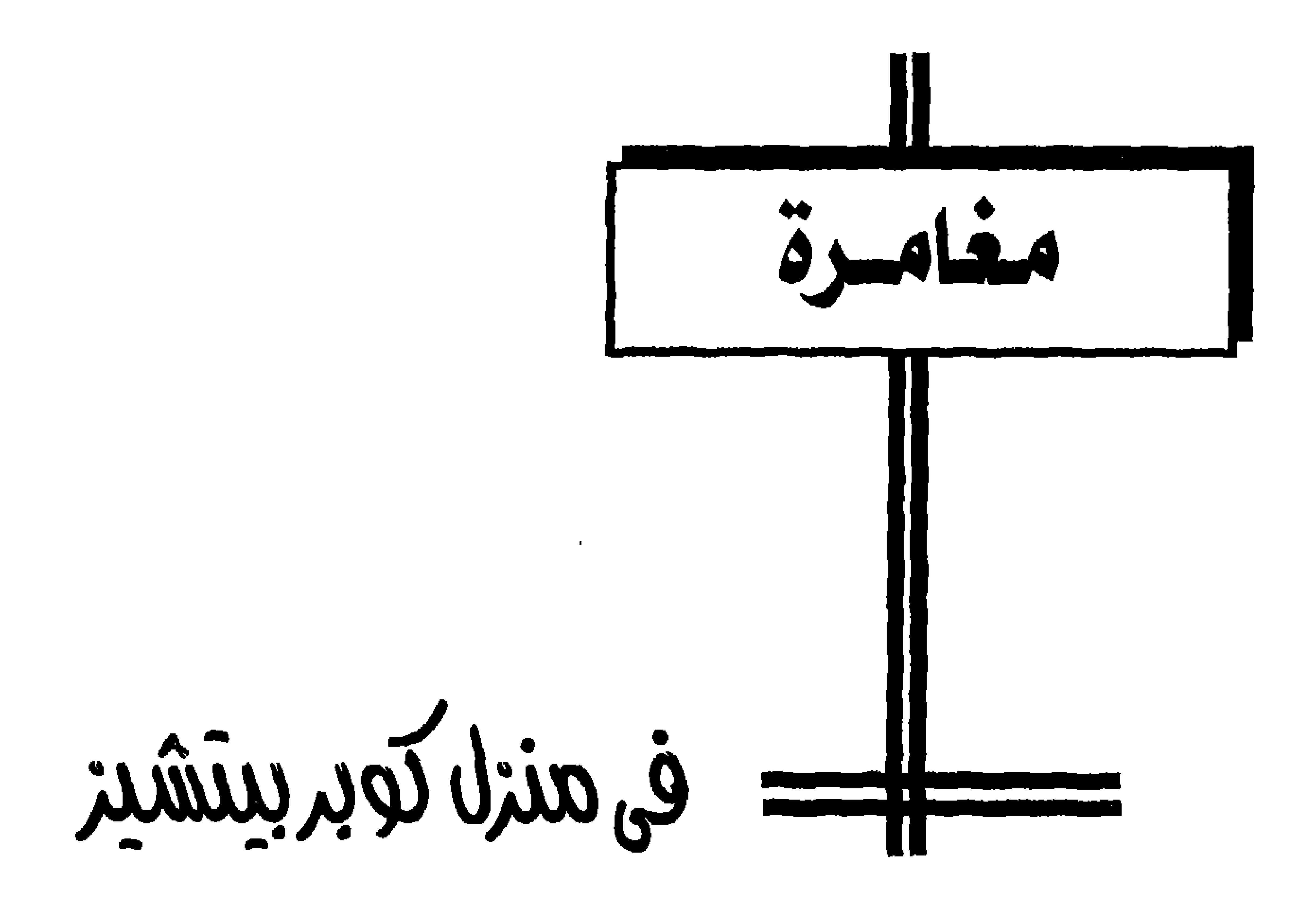
وبينما كان واطسون وهولمز مسافرين فى طريق العودة إلى لندن بالقطار فى اليوم التالى ، كان واطسون يبدو قلقاً .

وسأله هولمز : «ماذا يضايقُك أيها العجوز ؟» ، فقال واطسون : «أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا لم تخبر رجال الشرطة عن جريمة الدكتور رويلوت ولا عن حقيقة كيفية موته» .

وقال هولمز : «يا عزيزى واطسون ، لقد شعرت أنه كان لدى هيلين ستونر مآسٍ كافية فى ثنايا حياتها وإظهار زوج أمها باعتبار أنه قاتل كما كان فى حقيقة الأمر يمكن فقط أن يزيد من أحزانها ، وبهذه الطريقة تستطيع أن تبدأ حياتها الجديدة السعيدة مع زوجها الذى سيتزوجها فى المستقبل بدون العار والفضيحة التى كان يمكن أن تنشأ لو عُرِفَتْ الحقيقة . وبالإضافة إلى ذلك ، سيكون رجال الشرطة المحليون فى غاية الحرج لو كنت قد كشفت الستار عن أن شرلوك هولمز العظيم قد حل لغز جريمة كانوا أغلقوا ملف البحث فيها .

وقال واطسون : «نعم ، فِعْلاً ! أنت شرلوك هولمز العظيم!» .

تمت


مغامـرة
فى منزل كوبر بيتشيز

كان ذلك هو صباح يوم شديد البرد من أيام الربيع ، وكان شرلوك هولمز والدكتور واطسون يجلسان بجوار مدفأة بهيجة المنظر فى حجرة الجلوس بالمنزل رقم ٢٢١ ب فى شارع بيكر . وكان الضباب الكثيف يجعل المنازل فى الخارج تبدو مثل لطخة كبيرة غير محددة الشكل .

وكان مصباح الغاز مُضَاءً ، وفى ضوء المصباح كان هولمز يطالع أعمدة الإعلانات المبوبة فى مختلف الصحف . وأخيرا ، وبعد الانتهاء من مطالعة الإعلانات ، رمى هولمز بآخر الصحف واعتدل إلى الوراء وهو يدخن غليونه الطويل ويحملق فى نيران المدفأة .

وقال هولمز باقتضاب : «أخشى يا واطسون أن تكون عيادتى قد انحدر بها الحال إلى درجة أن توكل إليها مهام تافهة مثل العثور على أقلام الرصاص الضائعة وإعطاء النصائح للسيدات عن المدارس الداخلية . وأنا أعتقد أننى وصلت إلى قاع الحضيض أخيرا مع هذا الخطاب الذى استلمته من إحدى المدارس الداخلية فى هذا الصباح» ، وأخرج هولمز خطابا مكرمشاً من جيب منامته وأعطاه إلى واطسون .

وقال واطسون : «إنه مؤرخ بتاريخ الليلة الماضية وهو يفيد ما يلى : «يهمنى إلى حد كبير أن أطلب نصيحتك بشأن ما إذا كنت أقبل أو لا أقبل وظيفة عُرِضتْ علىَّ كمربية للأطفال . سأزورك فى الساعة ١٠,٣٠ صباحا غدا لو كان هذا الموعد يناسبك» والخطاب بتوقيع المدعوة «ڤيوليت هنتر» هل أنت تعرف هذه الشابة يا هولمز؟» .

وصـاح هولمز قـائلا بدهشـة : «بالطبع لا أعـرفـهـا ! ولكن حـيث إن الساعة الآن قد بلغت ١٠,٣٠ فأنا أستطيع أن أفترض أن صوت وقع الأقدام الذى أسمعه فى الطريق المفضى إلى الصالة هو صوت وقع أقدام الآنسة ڤيوليت هنتر» .

وعندئذ بالضبط انفتح الباب ودخلت إلى الحجرة فتاة بسيطة المظهر فى مقتبل العمر ولكنها ترتدى ملابسها بأناقة . وكان لها وجه مشرق حسن المظهر ملىء بالنمش وكانت تمشى باعتداد امرأة تعودت أن تشق طريقها فى الحياة بنفسها .

وتكلمت ڤيوليت هنتر بينما كان واطسون وهولمز ينهضان للترحيب بها ، وقالت : «من فضلكما أعتذر لمضايقتكما يا سيد هولمز ، ولكن حيث إننى قد تعرضت لتجربة غريبة وحيث إن والدىّ غير موجودين وليس لى عائلة أنتمى إليها وأطلب منها النصيحة ، فلقد فكرت فى المجىء إليك» .

وقال هولمز الذى كان يبدو أنه قد تأثر بالفتاة إلى حد كبير : «اجلسى من فضلك يا آنسة هنتر ، وأخبرى الدكتور واطسون وأخبرينى حكايتك» .

وشرعت الآنسة ڤيوليت هنتر تحكى قصتها قائلة : «فى السنوات الخمس الماضية ، كنت أنا أعمل مربية لطفل الكولونيل «سبنس مونرو» ، ولكن منذ شهرين ، نقل الكولونيل إلى وظيفة أخرى فى كندا . وعلى الرغم من أننى كنت أحاول أن أجد وظيفة أخرى فى ذلك الوقت ، فأنا لم أوفق فى ذلك . والمال القليل الذى كنت قد ادخرته بدأ يتلاشى وينفد» .

وسألها واطسون قائلا : «هل سبق لك إرسال رد على الإعلانات المبوبة بشأن وظيفة مربية ؟» فقالت : «رددت عليها وقمت بعمل كثير

من الإعلانات فى الصحف بنفسى ولكن بدون أى نجاح» .

وسألها هولمز : «هل سبق لك تجربة الذهاب إلى وكالات التوظيف لطالبى التوظف ؟» فقالت «نعم يا سيد هولمز ، وكالة الآنسة «ستابر» مشهورة كل الشهرة فى مجال التخصص فى وظائف المربيات ، وكنت أسألهم كل أسبوع . وعندما دخلت فى الأسبوع الماضى ، أدخلونى إلى مكتب الآنسة ستابر . وكان رجل مبتسم الشفتين ضخم الجسم إلى حد ما يجلس بجوار مكتبها ، وعندما دخلت وشاهدنى استدار فى كرسيه فى استغراب . وصاح الرجل يقول للآنسة ستابر : «إنها مناسبة ! لم أكن أتخيل أن أطلب أفضل من ذلك» ، ثم استدار الرجل نحوى وسألنى قائلا: «هل أنت تبحثين عن وظيفة مربية يا آنسة ؟» وقلت : «نعم يا سيدى» ، فقال الرجل : «وما هو الأجر الذى تطلبينه ؟» وأخبرته عن ذلك قائلة : «كنت أحصل على أربعة جنيهات كل شهر فى عملى السابق يا سيدى» .

وصاح الرجل يتمتم قائلا : «تت ! تت! مجرد شىء عديم الأهمية! بالنسبة إلى شابة جذابة أنا لا أفكر فى أن أدفع لك أقل من ١٠٠ جنيه فى السنة» .

واستطردت فيوليت هنت تقول : «وأنت تستطيع أن تتخيل يا سيد هولمز أن هذا العرض كان عرضا جيدا جدا بالنسبة لفتاة فقيرة مثلى لدرجة أننى ظننت أنه ليس عرضا حقيقيا جادا ، ولكن عندما لاحظ الرجل أمارات الشك فى كلامه بادية على ملامح وجهى ، فهو قد عرض على الفور أن يدفع أجر نصف عام مقدمًا . ولقد كان ذلك مثيرا لفكرى بالغ الإثارة خصوصا أننى كان يلزمنى سداد ديون كثيرة . وبالرغم من كل هذه الاعتبارات ، كان يبدو أنه يوجد شىء غريب

عجيب فى المسألة برمتها وفى الموقف بإجماله ، وشعرت أننى بحاجة ماسة إلى أن أفكر فى المسألة أكثر مما يبدو لى منها قبل أن أعطيه إجابة ، ولذلك بدأت بالسؤال عن مكان إقامته .

وأجابنى الرجل وهو يضحك قائلا : «فى هامبشاير ، فى منزل جميل يسمى «كوبر بيتشيز» وسألته : «وما هى واجبات عملى يا سيدى ؟» فقال الرجل : «طفل واحد ، ولد غال عزيز فى السادسة من العمر . وهو ماهر كل المهارة فى اصطياد الصراصير . خبطة ثم خبطة ثم خبطة ويموت ثلاثة صراصير فى طرفة عين!» .

«ولقد فزعت إلى حد ما يا سيد هولمز بشأن تصور الطفل لكيفية اللهو واللعب ، ولكننى افترضت أن ذلك كان مجرد مزاح من أبيه . وسألته بعد ذلك ما إذا كانت طلبات وواجبات أخرى مطلوبة» .

وقال الرجل : «المطلوب فقط هو أن تطيعى أى أوامر بسيطة يجوز أن تصدرها زوجتى ، ولا شىء فى تلك الأوامر يخرج على المألوف» ثم استطرد الرجل قائلا: «ولكن هل تمانعين فى أن ترتدى أى ثوب يروق لنا أن نعطيه لك – مجرد مسألة مزاج عندنا ؟» .

وأجبته وأنا مندهشة إلى حد ما : «لا يا سيدى» فقال الرجل : «ولو طلبنا منك أن تجلسى فى كرسى معين فهل تستجيبين لطلبنا ؟» وأجبته بقولى : «بالتأكيد يا سيدى» ولكن كانت حيرتى فى ازدياد .

وقال الرجل : «وهل تتفضلين بأن تقصى شعر رأسك ليكون أقصر مما هو الآن ؟» ولم أكد أصدق أذنى يا سيد هولمز . وأنا – كما تلاحظ – لى شعر طويل كثيف رائع المنظر كنت دائما أفخر به . ولم أكن أتصور أن أضحى به لكى أتوافق مع نزوة أى شخص . ولذلك قلت فى إجابتى

لذلك السؤال : «أنا أخشى أن يكون ذلك مستحيلا كل الاستحالة» .

واكفهر وجهه الذى كان باسمًا وقال : «أخشى أن ذلك سيكون ضروريًا . إنه شأن خيالى لدى زوجتى .. هل أنت متأكدة أنك لا تستطيعينه ؟»

وأجبته قائلة بحزم : «أنا فى الحقيقة لا أستطيع» .

«وعند تلك النقطة ، نظرت نحوى الآنسة ستابر وهى منزعجة وقالت : «حسنا يا آنسة هنتر . يبدو أنه غير مُجْدٍ بالنسبة لنا أن نحتفظ باسمك فى سجلاتنا حيث إنك ترفضين مثل هذا العرض الممتاز» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «حسنا يا سيد هولمز ، وعندما عدت إلى البيت ودخلت حجرتى الصغيرة ، والطعام عندى قليل ، وتوجد فواتير كثيرة غير مدفوعة فوق المنضدة ، بدأت أسائل نفسى ما إذا لم أكن حمقاء ! يبدو أن أولئك الناس عندهم شذوذ فى رغباتهم ، ولكنهم مستعدون أن يدفعوا نقودا فى مقابل شذوذ رغباتهم . وبالإضافة إلى ذلك ربما يبدو شعرى جميلا لو صار قصيرا . وجعلت أفكر على هذا النحو لمدة ثلاثة أيام ، وكنت على وشك العودة إلى الوكالة لأرى ما إذا كانت الوظيفة لا تزال متاحة لى عندما استلمت هذا الخطاب من الرجل نفسه» .

وأخذ شرلوك هولمز الخطاب الذى أعطته له ڤيوليت هنتر ، وبدأ يقرأ نص الخطاب كما يلى : «منزل كوبر بيتشيز ، وينشيستر . عزيزتى الآنسة هنتر - لقد تأثرت زوجتى جدا للوصف الذى وصفته عنك وهى مشتاقة أن تحضرى عندنا . إننا نوافق أن تزيد قيمة عرضنا إلى ١٢٠ جنيها لكل عام ، كما أننا على أتم استعداد لكى ندفع لك المقابل المالى لأى طلب

غير متعارف على مثله لدى غيرنا من الناس مما يجوز أن يتطرق إليه خيالنا المحدود فنطلبه منك .

إن زوجتي مغرمة جدا بنوع من ظلال اللون الأزرق نسميه اللون الأزرق الكهربى وهى ترغب فى أن تلبسى فستانا بهذا اللون فى الصباح. ولا حاجة بك إلى شراء مثل هذا الفستان لأنه عندنا هنا وهو من ملابس ابنتى «أليس» التى تقيم فى فيلادلفيا فى الولايات المتحدة . وهو سيكون ملائما لك تماما .

وعلى كل حال ، يلزمنى أن أظل متمسكا كل التمسك بقص شعر رأسك. أنا مدرك أن لكل شعر جماله ولكننى آمل أن تكون الزيادة فى راتبك تعويضا عن التخلى عنه» .

المخلص : «چيفرو روكاسل»

وعندما أتم هولمز قراءة الخطاب أعادة إلى ڤيوليت هنتر واضطجع فى مقعده وقال : «وماذا قر قرارك أن تفعلى ؟» .

وقالت الآنسة هنتر : «قررت أن أقبل الوظيفة ، ولكن قبل أن أبلغ السيد روكاسل بقرارى ، أحب أن تتفضل بأن تجعلنى أعرف رأيك بشأن هذه الشروط الغريبة وماذا يمكن أن تعنيه . هل أنت تعتقد أن زوجة السيد روكاسل مجنونة وهو ببساطة يرغب فى أن يرضى جموح خيالها ؟» .

قال هولمز : «هذا ممكن ، وعلى كل حال ، ليست هذه هى الوظيفة التى أسمح لأختى أن تتقدم لكى تشغلها» . فقالت الآنسة هنتر : «ولكن النقود يا سيد هولمز !» فقال هولمز : «نعم ، الأجر جيد . إنه جيد جداً لدرجة أننى أخاف، لماذا يدفعون لك أجراً يبلغ أكثر من ١٢٠ جنيها فى

العام ، وكانوا يستطيعون أن يحصلوا على خدمات أحسن مربية فى إنجلترا فى مقابل أربعين جنيها ؟ نعم ، يوجد سبب غير معروف وغامض يكمن وراء ذلك» . وصاحت الآنسة هنتر قائلة : «بالضبط يا سيد هولمز ، وذلك هو السبب فى أننى قد جئت إليك . أردت أن تعرف لى كل شىء بحيث لو أننى احتجت مساعدتك وأنا فى منزل السيد روكاسل ...» .

وقال هولمز : «فى كل الظروف والأحوال يا آنسة هنتر ، لو تصادف أن وجدت نفسك فى أى خطر سواء أثناء النهار أو الليل سأحضر عندك فور استلامى أى برقية تأتى من عندك لكى أساعدك فورا» .

وقالت فيوليت هنتر وهى تنهض عن الكرسى مبتسمة : «لقد أرحت ذهنى إلى حد كبير يا سيد هولمز . وأنا سأضحى الآن بشعرى المسكين فى هذه الليلة وسأسافر إلى وينشيستر غدا . طاب مساؤك يا سيد هولمز . طاب مساؤك يا دكتور واطسون وأشكركما» .

وعندما كانت ڤيوليت هنتر تغلق الباب وراءها ، استدار واطسون نحو هولمز وقال له : «يبدو أن ڤيوليت هنتر سيدة شابة رائعة قادرة تماما على أن تعنى بنفسها» ، وقال هولمز ومسحة من الانزعاج تعلو قسمات وجهه: «ستحتاج إلى من يعنى بها . ولو لم أكن أنا مخطئا سنسمع شيئا قادما إلينا من عندها قبل مرور كثير من الأيام» .

وأثناء الأسبوعين التاليين كان شرلوك هولمز يجلس ساعات طويلة وأمارات الانزعاج مرتسمة على ملامح وجهه ، وأخيرا ، فى وقت متأخر من الليل ، وصلت البرقية المنتظرة .

وصاح هولمز يقول : بعد قراءة البرقية : «يا واطسون ، نحن يجب علينا أن نسافر إلى وينشيستر غدا إن الآنسة هنتر ترجو أن نقابلها فى

فندق بلاك سوان عند الظهر . وهى تخشى أن تكون على وشك أن تفقد أعصابها» .

وركب شرلوك هولمز ومعه الدكتور واطسون قطار الساعة ٩,٣٠ من لندن لمدة ساعتين للوصول إلى وينشيستر . وكان واطسون بالغ الحماس لمشهد الريف فى يوم جميل من أيام الربيع ، ولكن هولمز لم يتأثر على الإطلاق بجمال الريف، وقال : «لا يا واطسون أنا لا أستطيع أن ألاحظ الجمال . إننى أتأمل منظر الريف وأفكر فى بعشرة المنازل الريفية وكيف يمكن أن تقع فيها الجرائم بسهولة بحيث لا يتم اكتشافها . وأنا خائف بشأن سلامة ڤيوليت هنتر» .

وقال واطسون : «ولكن من الضرورى أنها حرة فى أن تروح وتجىء كما تشاء حيث إنها ستقابلنا فى وينشيستر . ومن الواضح أنها ليست مهددة فى شخصها» . وقال هولمز : «هذا صحيح ولكننى لا أزال أستشعر الخوف» .

وعندما وصل شرلوك هولمز والدكتور واطسون إلى فندق بلاك سوان ، كانت فيوليت هنتر موجودة هنالك بالفعل . كانت قد استأجرت حجرة، وكانت قد أمرت بغداء لثلاثة أشخاص .

وقالت : «أنا مسرورة أنكما قد أتيتما . إننى بحاجة إلى نصيحتك» . وسألها هولمز : «ماذا حدث لك ؟» فقالت : «سأخبركما ، ولكن يجب أن أسرع . لقد وعدت السيد روكاسل أن أعود قبل الساعة الثالثة» . فقال لها هولمز : «أخبرينا عن كل شيء كما حدث» .

«بادئ ذى بدء يا سيد هولمز لم أصادف أى سوء معاملة مقصود من السيد أو السيدة روكاسل ، ولكننى لا أستطيع أن أفهمهما ، ولا أستطيع أن أفهم أسباب تصرفاتهما وسلوكهما» .

«وعندما وصلت منذ أسبوعين ، قابلني السيد روكاسل بعربته وركبت معه العربة إلى قصر كوبر بيتشيز الذى اشتُقَّ اسمه من مجموعة أشجار الزان الموجودة أمام الباب الأمامى للمنزل . وتم تقديمى إلى السيدة روكاسل وإلى الطفل إدوارد . وسرعان ما اكتشفت الحالة العقلية للسيدة روكاسل التى كنا قد ناقشناها منذ أسبوعين فى لندن ولا أساس لمخاوفنا من الصحة . إنها ليست مجنونة . ولكنها امرأة تؤثر الصمت ، شاحبة الوجه ، أصغر سنا من زوجها بسنوات كثيرة . وأنا أقدر أنه قد بلغ الخامسة والأربعين من العمر بينما لم تتجاوز هى الثلاثين . وكانا قد تزوجا منذ سبع سنوات . ولقد كان هو أرملا كما أخبرنى عن ذلك بنفسه ، وذهبت ابنته من زوجته الأولى وعمرها عشرون عاما إلى فيلادلفيا لأنها لم تتوافق مع زوجة أبيها» .

وقال هولمز : «اذكرى لى معلومات أكثر عن السيدة روكاسل» فقالت ڤيوليت هنتر : «إنها امرأة لا لون لها إلى حد ما ، ولكن كل عواطفها مكرسة لزوجها ولابنها الصغير . ويبدو أن لديها شعورا دفينا بالأسف والأسى على الرغم من أننى كنت أراها فى كثير من الأحيان مستغرقة فى التفكير ويرتسم على ملامح وجهها علامات حزن كبير . ولقد رأيتها تبكى بالدموع أكثر من مرة . وظننت أنه ربما كان ذلك بسبب ابنها لأننى لم أصادف ولدا فاسدا مثل هذا الولد من قبل ، إذ كان يبدو مخلوقا صغيرا معتل المزاج ، إنه يقسم وقته بين غضب جامح وعبوس كئيب فى الملامح وتسليته الوحيدة هى إنزال الألم بأى مخلوق أضعف منه مثل اصطياده للفئران والطيور أو الحشرات ، ولكنه ليس له إلا دخل ضئيل فى حكايتى يا سيد هولمز» .

وقال لها هولمز : «ليس الأمر كما تقولين . كل هذه التفاصيل مهمة

سواء كانت أهميتها واضحة عندك أو غير واضحة» . فقالت الآنسة فيوليت هنتر : «الشيء الوحيد الذى يبعث على السرور فى المنزل هو الخادمان – رجل وزوجته. تولر رجل خشن المظهر تفوح منه رائحة الشراب على الدوام . ولقد رأيته مخمورا غائبا عن الوعى مرتين فى هذين الأسبوعين ، ولكن يبدو أن السيد روكاسل يتغاضى عن ذلك . وزوجته السيدة تولر امرأة طويلة القامة قوية الجسم عابسة الوجه . مظهرها لا يسر النظر ولكنهما مخلصان فى خدمة عائلة روكاسل» .

وقال هولمز : «حسنا يا آنسة هنتر ، لا شيء من ذلك حتى الآن يخرج على المألوف» ، فقالت : «لم يخرج شيء من ذلك على المألوف يا سيد هولمز ... فى اليومين الأولين ، ولكن فى صباح اليوم الثالث ، همست السيدة روكاسل بشيء فى أذن زوجها وهما يجلسان إلى مائدة الإفطار . ونظرا كلاهما فى اتجاهى وأنا جالسة هنالك متحيرة ، ثم تكلم السيد روكاسل قائلا : «زوجتى وأنا مسروران لموافقتك على الاستجابة لرغبتنا فى قص شعرك يا آنسة هنتر . ونحن نرغب الآن فى أن تلبسى ذلك الثوب ذا اللون الأزرق الكهربى . لقد سبق لى أن تحدثت معك بشأنه . وستجدينه موضوعا فوق سريرك» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «حسنا ، ذهبت إلى حجرتى يا سيد هولمز ، وكان الثوب الذى وجدته فى انتظارى ذا لون غريب من ظلال اللون الأزرق – من قماش ممتاز ، ولكنه بالقطع سبق ارتداؤه . وعلى كل حال كان الثوب مناسبا كما لو كان قد تم إعداده خصيصا من أجلى أنا شخصيا . وارتديته ، وعندما ذهبت عند السيد والسيدة روكاسل فى حجرة الاستقبال كانا مسرورين لدى ظهورى أمامهما فى حجرة الاستقبال .

وقدَّم لى السيد روكاسل كرسيا كان قد وُضِعَ فى مكان متوسط بين ثلاث نوافذ موجودة فى الجدار الأمامى للمنزل . وبينما كنت أجلس وظهرى فى اتجاه النافذة بدأ السيد روكاسل يمشى جيئة وذهابا فى الجانب الآخر من الحجرة ، وهو طوال الوقت يحكى لى بعض الحكايات التى كانت من أكثر الحكايات التى سمعتها طرافة . وضحكت حتى أرهقتنى كثرة الضحك» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «كانت السيدة روكاسل ، على كل حال ، لا يبدو بوضوح أنها تعبأ بالفكاهة ، وكانت تجلس والقلق يرتسم على وجهها ولم تبتسم ولا مرة واحدة . وأخيرا ، وبعد مضى ساعة كاملة، توقف السيد روكاسل عن الكلام ، وأخبرنى أننى يمكن لى أن أغير ملابسى وأباشر القيام بواجباتى مع الصبى إدوارد فى حجرته» .

وسألها هولمز : «هل كانت هذه هى المرة الوحيدة التى حدث فيها مثل هذا الحدث ؟» فقالت الآنسة هنتر : «لا يا سيد هولمز ، بعد يومين حدث نفس الشيء بنفس الخطوات والمشاهد . وفى هذه المرة ، بعد أن كنت قد ضحكت لمدة ساعة من جراء حكايات السيد روكاسل الظريفة، أعطانى كتابا ، وبعد تحريك مقعدى إلى أحد الأجناب حتى لا يقع ظلى على صفحة الكتاب ، طلب منى أن أقرأ له . وقرأت لمدة عشر دقائق ، وفجأة ، فى منتصف الجملة ، أمرنى أن أتوقف وأغير ثيابى وأعود إلى واجباتى» .

وسألها الدكتور واطسون : «هل هذه هى كل الحكاية ؟» فقال الآنسة هنتر: «لا ياسيدى ، بمرور الأيام أصبحت أنا أكثر شغفا بمعرفة السر فى هذه التصرفات غير المعتادة . كان السيد روكاسل دائماً يحرص بشدة على أن أدير وجهى بعيداً عن النافذة لدرجة أننى بدأت أشعر

بأشرس الرغبات فى أن أرى ما ورائى» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «وفى البداية كان ذلك يبدو مستحيلا ثم خطرت فى ذهنى فكرة . كانت المرآة الموجودة فى حقيبة يدى قد انكسرت أثناء رحلة سفرى إلى كوبر بيتشيز ، ولذلك كنت أستطيع الآن أن أخفى قطعة منها فى منديل اليد الخاص بى . وكان الدمع يطفر من عينى أثناء ممارسات وحكايات السيد روكاسل فى المرة السابقة ، ولذلك؛ كانت تتاح لى فرصة أن أقرب المنديل من وجهى ، ومن الضرورى أن أعترف يا سيد هولمز أننى كنت قد خاب أملى إلى حد ما . كل ما شاهدت فى المرآة كان منظر رجل يقف فى الطريق وهو ينظر فى اتجاهى. كان رجلا ضئيل الجسم ذا لحية وكان يرتدى حلة رمادية اللون، وأخفضت المنديل ورأيت السيدة روكاسل تنظر نحوى بتركيز. وأنا متأكدة من أنها قد خمنت أنه كان معى مرآة فى يدى ؛ وذلك لأنها نهضت على الفور وأخبرت زوجها أن شخصا ما كان يحملق فى اتجاهى» .

وسألنى السيد روكاسل قائلا لى : « هل هو واحد من أصدقائك يا آنسة هنتر ؟» وأجبته بقولى : «لا يا سيدى ، أنا لا أعرف أى شخص فى وينشيستر أو فيما حولها من بلدان» فقال لها : «أشيرى له إذن أن يذهب بعيدا» . فقلت: «ولكن يا سيدى ، ألا يبدو من الأفضل أن نتجاهله ؟» فقال : «لا ، لا ، وإلا فهو سيتسكع هنا طول الوقت . الآن ، من فضلك يا آنسة هنتر ، استديرى وأشيرى له أن يبتعد» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «وفعلتُ ما أُمِرْتُ به يا سيد هولمز . ثم أغلقت السيدة روكاسل الستائر . وكان ذلك منذ أيام قليلة مضت . ومنذ ذلك اليوم وفيما يليه من الأيام ، لم أجلس باتجاه النافذة ، ولم ألبس الفستان الأزرق، ولم أشاهد الرجل فى الطريق» .

وقال هولمز : «حكايتك مسلية كل التسلية يا آنسة هنتر . من فضلك، استمرى » فقالت الآنسة هنتر : «فى نفس اليوم الأول لوجودى بداخل منزل كوبر بيتشيز ، أخذنى السيد روكاسل إلى حظيرة صغيرة بالقرب من باب المطبخ، وعندما اقتربنا منها سمعت قعقعة سلسلة وصوت حيوان ضخم يتحرك بداخلها» .

واستطرد الآنسة هنتر تقول : «وأشار السيد روكاسل إلى فرجة بين القضبان وهو يقول لى : انظرى إلى الداخل هنا يا آنسة هنتر . أليس جميل الشكل كل الجمال ؟» ونظرت من الفرجة وشاهدت عينين متوهجتين وجسما ظليلا مختبئا فى الظلام ، وقال لى السيد روكاسل وهو يضحك : «لا تخافى . إنه كارلو ، من نوع «ماستف تولر» . وهو يتناول غذاءه مرة واحدة فى اليوم ونحن نتركه مطلق السراح أثناءِ الليل يتجول فى الأراضى المحيطة بالمنزلِ . وليساعد الله أى شخص يمر ليتحمل آلام أنيابه وهى تنغرس فى جسمه!»

وعلق على ذلك الدكتور واطسون بقوله : «من الغريب أن يحتاج صاحب العمل الذى تعملينه إلى حراسة أراضيه بهذه الكيفية الشرسة» .

ووافقت الآنسة هنتر على تعليق الدكتور واطسون قائلة :«نعم يا دكتور واطسون . وكانت رؤية هذا الحيوان الضخم وهو يمشى فى الممرات المحيطة بالمنزل أثناء الليل تجعل العرق يتصبب من الجسم» .

وسألها هولمز قائلا : «هل حدث شيء آخر يمكن أن يعتبر غير عادى؟» فقالت الآنسة هنتر : «كنت على وشك أن أنتقل إلى ذلك يا سيد هولمز . كنت قد قصصت شعرى ، كما تعرف فى لندن . وكانت خصلات شعرى المقصوصة طويلة جدا وكنت أحتفظ بها معى ، كانت فى قاع حقيبة السفر الخاصة بى . حسنا ، ذات مساء عندما كان إدوارد

الصغير فى فراشه ، بدأت أفحص الأثاث فى حجرتى ، كان يوجد بالحجرة صندوق به ثلاثة أدراج ، وكان الدرجان العلويان مفتوحين عندما وصلت إلى المنزل ، ولذلك وضعت الأشياء الخاصة بى بداخل كل منهما ، ولكن كان الدرج السفلى مغلقا .

وفى ذلك المساء بالذات ، كنت أحاول أن أقرر أين أضع الأشياء التى لم أكن قد وجدت لها مكانا حتى ذلك الوقت عندما تأكدت أننى لم أستفد من استخدام ذلك الدرج الثالث . وإذ كنت أعتقد أنه كان مغلقا عن غير قصد ، تناولت حزمة المفاتيح الخاصة بى وعثرت على مفتاح ملائم لفتح ذلك الدرج . وعندما فتحت الدرج ، وجدت شعرى المقصوص !

وأخرجته من الدرج وأخذت أفحصه – نفس اللون ، ونفس الغزارة . وتساءلت : ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك كذلك ؟ كيف أمكن أن يوضع شعرى فى الدرج المغلق ؟ وكانت يداى ترتجفان عندما فتحت حقيبة سفرى ، وأخرجت الملابس القليلة الموجودة بداخلها ، ومن قاع حقيبة السفر أخرجت خصلات الشعر الخاصة بى !!»

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «وضعت خصلات الشعر الخاصة بى بجوار خصلات الشعر التى كنت قد عثرت عليها فى الدرج ووجدت أنهما متطابقتين تماما . وبطبيعة الحال تحيرت من جراء ذلك كل الحيرة، ولكننى لم أذكر ذلك لأحد من أسرة روكاسل حيث إنه لا يحق لى فى حقيقة الأمر أن أقوم بفتح أحد الأدراج المغلقة» .

وقال هولمز : «بالفعل ، هذا محير بكل تأكيد . والآن ، هل هذا هو كل ما يجب أن أعرفه أنا والدكتور واطسون ؟» فقالت الآنسة هنتر : «بقى شىء واحد فقط يا سيد هولمز . يوجد جناح واحد بالمنزل يبدو أنه

لا يسكن فيه أحد . وباب مسكن أسرة تولر يواجه باب ذلك الجناح من المنزل ، ولكن هذا الباب كان مغلقا باستمرار . وذات يوم ، على كل حال ، عندما وصلت إلى أعلى درجات السلم ، رأيت السيد روكاسل يخرج من هذا الباب ، وكانت ربطة المفاتيح الخاصة به فى يده ، ولكن وجهه الذى كنت أشاهده باسما باستمرار كان الآن شديد الاحمرار مليئا بالغضب والعروق فى أوداجه تبدو كما لو كانت ستنفجر . أغلق الباب بالمفتاح وأسرع بالمرور بى دون كلمة أو نظرة» .

وقال الدكتور واطسون :«آه يا آنسة هنتر ، أنا متأكد كل التأكد أنك بفضل ما تمتازين به من حب الاستطلاع والقدرات الرائعة على دقة الملاحظة قد أمكن لك أن تجدى الجواب لهذه المسألة الخاصة» ، وقالت الآنسة هنتر : «يؤسفنى أن أقول : كلا يا دكتور واطسون .

لقد أصبحت فى الحقيقة أكثر حبا للاستطلاع ... وأيضا ، لقد أصبحت أشعر بالرعب !» .

وسألها هولمز : «ولماذا تشعرين بالرعب ؟ فقالت : «فى اليوم التالى ، أخذت إدوارد للتنزه سيرا على الأقدام فى جزء من الأراضى المحيطة بالمنزل حيث كنت أستطيع أن أرى ذلك الجناح . كانت أربع نوافذ موجودة فى واجهة ذلك الجناح . كانت ثلاث نوافذ منها تعلوها القذارة ولكن كانت الرابعة مغلقة . وبينما كنت أواصل السير وأنا أحدق إلى النوافذ بين آن وآخر ، خرج السيد روكاسل وهو يبدو مبتسما ومرحا كالعهد به دائماً .

وقال لى السيد روكاسل : «يبدو أنك تشعرين بحب الاستطلاع بشأن هذا الجناح يا آنسة هنتر أنا أستخدمه لهوايتى فى التصوير الفوتوغرافى . وهذه النافذة المغلقة هى النافذة الخاصة بالحجرة المظلمة المخصصة

لتحميض الأفلام» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول :«كان يتكلم بمرح ودون أى تكلف ، ولكن كان يبدو فى عينيه الارتياب والقلق . وفى تلك اللحظة تأكدت أن تلك الحجرات كانت تحوى بداخلها سرا من الأسرار التى لم يكن من المفروض أو المرغوب فيه أن أعرفه أنا . وجعلنى حب الاستطلاع أرغب فى أن أكتشف ذلك السر» ، وسألها هولمز :«وهل تم لك العثور على السر فى ذلك يا آنسة هنتر؟» فقالت : «لا يا سيد هولمز لأننى أخشى أن يكون عمل شرير يجرى حدوثه هنالك ، ولهذا السبب جئت إليكما» .

وصاح واطسون يقول : «عمل شرير ! كيف ذلك ؟» فقالت الآنسة هنتر : «فى البداية ، كان ذلك يرجع إلى غريزتى كأنثى . ولكن ، بعدئذ، بالأمس ، أصبحت مخاوفى حقيقية جدا . وبالإضافة إلى السيد روكاسل ، كنت قد شاهدت تولر وزوجته يدخلان ويخرجان من هذه الحجرات المهجورة . وذات مرة شاهدت تولر وهو يحمل حقيبة سوداء من القماش معه إلى داخل الحجرة . وتولر يشرب كثيرا من الخمر ، وفى الليلة الماضية كان شديد السكر» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول :«عندما صعدت درجات السلم رأيت أن المفتاح كان قد ترك فى الباب ، ولا ريب فى أن تولر هو الذى كان قد نسيه . وكان السيد والسيدة روكاسل وكذلك كان تولر وزوجته فى الطابق السفلى ، ولذلك كانت عندى فرصة كاملة لكى أتسلل إلى الداخل . وأدرت المفتاح بهدوء فى القفل وتسللت إلى الداخل بهدوء . ووجدت نفسى بداخل صالة فى مواجهة ثلاث حجرات فى صف واحد كانت الحجرة الأولى مفتوحة ، وكانت الحجرة الثالثة مفتوحة ، وكانت كل منهما متربة خاوية فارغة . وكانت الحجرة الوسطى مغلقة بقضيب

من الحديد مثبت بقفل من نوع «بادلوك» إلى الجدار . وكان هذا الباب يفضى إلى الحجرة ذات النافذة المغلقة . وعلى الرغم من أن المزاليج كانت تحجب الضوء كان شعاع من الضوء يلمع تحت الباب ، ربما كان ضوءا طبيعيا فيما كنت أعتقد» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول :«وبينما كنت أقف فى الصالة ، سمعت فجأة صوت وقع أقدام بداخل الحجرة . وتملكنى الخوف يا سيد هولمز واستدرت لكى أجرى ... مباشرة بين ذراعى السيد روكاسل الذى كان يقف فى فتحة الباب» .

وقال السيد روكاسل مبتسما :«كنت أنت إذن.» ولهشت وأنا أقول : «أوه يا سيد روكاسل ، أنا خائفة جدا» ، وسألنى وهو لايزال يبتسم : «ماذا أخافك ؟» ولكن لهجته كانت ناعمة جدا لدرجة أننى أخذت حذرى فورا . وقلت له : «كنت حمقاء أن أدخل هذا الجناح ، ولكن الهدوء الفظيع بداخله قد جعلنى مضطربة لدرجة أننى جريت لأخرج» .

وسألنى : «هذا فقط ؟ والآن هل تدركين لماذا أنا أغلق هذا الباب يا سيدتى الشابة العزيزة؟ إن ذلك لكى أمنع دخول الناس الذين لا شأن لهم هناك» . وكان السيد روكاسل لايزال مبتسما وهو يستطرد فى كلامه قائلا : «حسنا ، أما وأنك تعرفين ذلك ، فأنت لن تمرى من عتبة هذا الباب مرة أخرى» . وفجأة تحولت ابتسامته إلى نظرة شيطانية وهو يقول : «لأنك لو فعلت ذلك فأنا سأرمى بك إلى الكلب الماستيف!» .

وصاح الدكتور واطسون قائلا : «يا إلهى!» واستمرت الآنسة هنتر تقول : «كنت خائفة جدا لدرجة أننى لم أعرف ما فعلت . من الضرورى أننى قد جريت منه مسرعة إلى حجرتى لأن الشىء الوحيد الذى أتذكره بعد ذلك هو أننى كنت أنام فى السرير وكل أجزاء جسمى

ترتجف . وبعد ذلك تذكرتك يا سيد هولمز ، بطبيعة الحال كان يمكن بى أن أرحل هاربة من مكان عملى ، ولكن حب الاستطلاع عندى كان قويا مثل مخاوفى ، ولذلك نزلت إلى مكتب التلغراف الذى يبعد مسافة أقل من نصف ميل من المنزل وأرسلت إليك البرقية» .

واستطردت الآنسة هنتر تقول : «لم أجد صعوبة فى أن أجد الوقت لكى أحضر إلى وينشيستر فى هذا الصباح ، ولكننى يجب أن أعود قبل الساعة الثالثة. وروكاسل سيخرج من المنزل بعد الظهر حتى المساء ، وأنا يجب أن أرعى الطفل إدوارد . والآن يا سيد هولمز ، هل يمكن لك أن تخبرنى ماذا يعنيه كل هذا ؟ وماذا يجب علىّ أن أفعل؟» .

ووقف شرلوك هولمز وأخذ يمشى فى الحجرة جيئة وذهابا واضعا إحدى يديه فى جيبه ونظرة تنم عن الجدية ترتسم على كل ملامح وجهه . وتوقف عن السير فجأة ووقف فى مواجهة ڤيوليت هنتر ، وقال : «هل تولر لا يزال مخمورا؟» فقالت الآنسة هنتر : «نعم ، لقد سمعت زوجته تقول للسيدة روكاسل إنها لا تستطيع أن تفعل أى شىء لتجعله يفيق » . وصاح هولمز قائلا: «هذا حسن ؟ وسيخرج روكاسل وزوجته من المنزل فى هذه الليلة ؟» فقالت الآنسة هنتر : «نعم» ، وقال هولمز : «هل يوجد مخزن له قفل متين ؟» ، فقالت الآنسة هنتر : «نعم ، مخزن الخمور» ، فقال هولمز : «ممتاز ممتاز . والآن يا آنسة هنتر ، بقى سؤال واحد أوجهه إليك ، وأنا أوجه لك هذا السؤال لأنك امرأة شجاعة تجيدين التصرف» . فقالت : «سل عن أى شىء يا سيد هولمز» .

وقال هولمز : «واطسون وأنا سنكون فى منزل كوبر بيتشيز فى الساعة السابعة هذا المساء ، وحيث إن روكاسل وزوجته خارج المنزل ، وحيث إن تولر فى حالة سُكرٍ تام ، فهذه الظروف لا تدع سوى السيدة تولر لكى

نعمل لها حسابا ، هل تستطيعين أن ترسلى بها إلى مخزن الخمور لقضاء شأن به وبعد ذلك تغلقين الباب عليها بمجرد دخولها إلى المخزن ؟» .

فقالت الآنسة هنتر : «بكل تأكيد يا سيد هولمز» ، فقال هولمز : «هذا رائع إن هذا سيعطينا الفرصة لكى نفحص المسألة كل الفحص . بالطبع ، لقد جاءوا بك إلى المنزل فى كوبر بيتشيز لكى تقومى بدور شبيهة لشخصية ما . وهذه الشخصية سجينة فى الجناح المهجور من المنزل» .

فقال واطسون : «ولكن من هى ؟» فقال هولمز : «أنا متأكد أنها ابنة السيد روكاسل المدعوة أليس الذى يدعى أنها فى أمريكا يا واطسون . وأنا متأكد أن الآنسة هنتر قد تم اختيارها للوظيفة بسبب التشابه القوى بينها وبين «أليس روكاسل» — وطول الشعر فقط كان هو الاختلاف الوحيد ، وقد تم حل هذه المشكلة بإجبار الآنسة هنتر على أن تقص شعرها . والرجل الذى شاهدته الآنسة هنتر فى الطريق ربما كان صديقا من أصدقاء أليس روكاسل — ومن الممكن أن يكون خطيبها . وتقمصك إلى حد ما شخصيتها كان مخططا دون ريب لكى يتضح للشاب أن الآنسة روكاسل كانت سعيدة فى حياتها بدون وجوده فى حياتها» .

وأضاف واطسون قائلا : «والكلب يمنع الرجل من الاتصال بالآنسة روكاسل أثناء الليل» . وصاحت ڤيوليت هنتر تقول : «أوه ، أنا متأكدة أنك على صواب يا سيد هولمز وأنت أيضا يا دكتور واطسون . أوه ، لا ينبغى أن نضيع لحظة فى مساعدة المخلوقة التعيسة» .

وقال هولمز : «يجب أن نكون حذرين لأننا نتعامل مع رجل قاس وماكر . إننا لا نستطيع أن نعمل شيئًا حتى الساعة السابعة ، وبعدها سنحل المشكلة» .

وقبل دقائق قليلة من الساعة السابعة فى ذلك المساء نزل واطسون وشرلوك هولمز من العربة فى حانة قريبة وتقدما سيرا على الأقدام نحو منزل كوبر بيتشيز . وكانت ڤيوليت هنتر تقف على عتبة الباب وهى تبتسم .

وسألها هولمز : «هل قمت بعمل المطلوب؟» ، ووصل إلى مسامعهم صوت مُدوٌّ عالٍ من الطابق الأرضى . وقالت ڤيوليت هنتر : «تلك هى السيدة تولر محبوسة فى المخزن وزوجها يغط فى النوم فوق أرضية المطبخ ، ولكننى نجحت فى نزع المفاتيح من الأبواب بعد إغلاقها» .

وصاح هولمز قائلا : «لقد أحسنت التصرف جيدا والآن ، أرشدينا إلى الطريق إلى الطابق العلوى وسنضع النهاية لهذه المهمة السخيفة» .

واقتادت ڤيوليت هنتر كلا من هولمز والدكتور واطسون إلى الطابق العلوى ، وفتحت الباب إلى الجناح المهجور . وفى خلال دقائق قليلة كانوا أمام الباب المغلق بالقضيب الحديدى الذى كانت ڤيوليت هنتر قد وصفته من قبل . وعثر هولمز على مفتاح ليفتح القفل ويزيل القضيب الحديدى ولم ينجح . ثم جرب مفتاحا آخر فى قفل الباب ذاته ، ولكن لم يفتح الباب بأى مفتاح .

وقال واطسون : «بالتأكيد لقد سمعنا أى شخص موجود بالداخل» . ولكن الصمت بداخل الحجرة جعل هولمز يقطب جبينه وهو يقول : «آمل ألا نكون قد تأخرنا عما يجب . يا واطسون ، سيتحتم علينا أن نكسر الباب» .

وبالضغط على الباب بكتفى واطسون وهولمز انفتح الباب ، واندفعوا إلى داخل الحجرة ... ولكنها كانت خاوية ! كان يوجد بداخلها سرير صغير خشن فقط ومنضدة صغيرة ، وكان ضوء السماء فوق المنضدة

مفتوحا وكان السجين قد هرب !

وقال هولمز : «أخشى أن هذا الوغد روكاسل قد خمن خطط الآنسة هنتر وهو لذلك قد أخذ ضحيته معه إلى مكان بعيد» وصاح واطسون قائلا : «ولكن كيف ؟» فقال هولمز : «من خلال هذه الفتحة المفضية إلى السماء » وقفز هولمز بجسمه إلى السقف وهو يقول : «أنا أعرف كيف فعل ذلك يا واطسون . يوجد سلم طويل موضوع على حافة سقف المنزل» .

وصاحت الآنسة هنتر تقول : «ولكن هذا مستحيل ! لم يكن السلم هناك عندما غادر روكاسل وزوجته المنزل » وقال هولمز وهو يقفز نازلا عن السطح : «عاد السيد روكاسل إذن ووضع السلم هنالك . إنه رجل ماهر وخطير . ولو كان وقع الأقدام الذى أسمعه الآن على درجات السلم هو وقع أقدامه ، فمن الضرورى أن نجهز مسدساتنا» .

وفى هذه اللحظة ظهر السيد روكاسل عند الباب وكانت فى يده عصا غليظة. وصاحت ڤيوليت هنتر وتراجعت إلى الوراء نحو الجدار ، ولكن شرلوك هولمز قفز أمام الرجل الشرير .

وصاح به هولمز قائلا له : «أنت أيها الرجل الحقير ! ماذا فعلت بابنتك ؟ أين هى ؟» .

ودارت عَيْنا السيد روكاسل الجاحظتان فى أرجاء المكان ثم توقفت عيناه عند الفتحة التى كان يدخل منها ضوء السماء وصرخ قائلا : «الصواب هو أن أسألكم أنا عن ذلك . أيها الجواسيس ! أيها اللصوص ! لقد أمسكت بكم ، ولكنكم لن تهربوا !» واستدار وهرب نازلا درجات السلم .

وصرخت ڤيوليت هنتر تقول : «لقد ذهب ليحضر الكلب !» واندفع هولمز والدكتور واطسون وڤيوليت هنتر نحو السلم ، وعندما وصلوا إلى الصالة بالضبط سمعوا صوت النباح المخيف للكلب مصحوبا بصيحة ألم .

وفى تلك اللحظة دخل رجل متقدم فى السن وهو يترنح وله وجه أحمر منتفخ وركبتاه ترتعشان إلى الصالة قادما من داخل المطبخ ، وكان ذلك هو تولر، وصاح تولر يقول : «شخص ما قد أطلق سراح الكلب . والكلب لم يأكل طعامه منذ يومين . أسرعوا أسرعوا وإلا فات الوقت!» .

واندفع هولمز والدكتور واطسون وتولر خارجين من الصالة متجهين نحو الطابق الأرضى . وهنالك بالقرب من مدخل منزل كوبر بيتشيز كان الكلب الضخم الجائع ، وكان فكاه مدفونين فى رقبة السيد روكاسل بينما كان الرجل يصرخ ويتلوى جسمه من شدة الآلام .

وصوب واطسون مسدسه بسرعة نحو الكلب وأطلق الرصاص . وسقط الكلب الضخم ميتا . وحمل هولمز وتولر السيد روكاسل إلى داخل المنزل، وكان لا يزال حيا ، ولكنه كان مجروحا جرحا بعيد الأغوار ، ووضعاه فوق الأريكة وفعل الدكتور واطسون والآنسة ڤيوليت هنتر كل ما فى وسع كل منهما لكى يخففا عنه الآلام . وبينما كان الأربعة يقفون حول الأريكة ، دخلت إلى الحجرة امرأة طويلة القامة ناحلة القوام .

وصاحت فيوليت هنتر تقول : «السيدة تولر !» فقالت السيدة تولر : «نعم يا آنسة . أخرجنى السيد روكاسل عندما عاد قبل أن يصعد إلى الطابق العلوى . آه يا آنسة ، من المثير للشفقة أنك لم تخبرينى ماذا كنت أنت تخططين له . لقد كان من الممكن أن أوفر عليك الجهد والمشقة» .

وقال هولمز : «آه ها ! أنت إذن تعرفين كل شىء عن هذا الموضوع يا سيدة تولر » . فقالت السيدة تولر : «نعم يا سيدى ، أنا أعرف كل شىء

عن هذا الموضوع ، وأنا مستعدة أن أخبركم كل ما أعرفه» ، فقال هولمز: «اجلسى من فضلك إذن ودعينا نسمع ما تقولينه لأنه توجد بعض النقاط التى لا تزال تحيرنى» .

وبدأت السيدة تولر تحكى قائلة : «تذكَّرْ من فضلك يا سيدى أنه لو حدث هنالك تدخل من الشرطة أو القضاء فأنا قد أخبرتك عن كل شيء . وأقول لك بصدق أننى كنت سأدلى بهذه الأقوال فى أقرب وقت لو لم أكن قد حبست فى حجرة المخزن . إننى صديقة لك كما أننى صديقة للآنسة أليس» .

وقال هولمز بحنان : «طبعا يا سيدة تولر ، والآن ، أخبرينا كل ما تعرفينه عن الآنسة أليس روكاسل» وبدأت المرأة العجوز تحكى قصتها قائلة: «منذ ذلك الوقت الذى تزوج فيه أبوها من جديد ، لم تعد الآنسة أليس سعيدة فى البيت على الإطلاق .كانوا يتجاهلونها تجاهلا كاملا ولم يكن لها رأى تعبر عنه فى أى شيء ، ولكن ساءت الأمور أكثر من ذلك بعد أن قابلت السيد فاولر» .

وسألها هولمز قائلا : «هل كان ذلك هو الرجل الشاب الذى أصبح شغوفا بها ؟» فقالت السيدة تولر : «نعم يا سيدى رجل شاب رائع فى الحقيقة - بَحَّارٌ كانت قد قابلته فى بيت أحد الأصدقاء » وسألها هولمز قائلا : «أخبرينى يا سيدة تولر ، هل كانت الآنسة روكاسل سيدة شابة ثرية ؟» ، فقالت السيدة تولر: «كان عندها دخل مالى كبير ورثته عن أمها الغالية الراحلة بموجب وصية تركتها لها ، ولكن لكونها حلوة بريئة سليمة الطوية ، فقد تركت الآنسة أليس كل شيء فى يد السيد روكاسل. وكان هو يعرف أنها لم تكن لتسأله أبدا عما فعله بأموالها . ولكن ، لو تزوجت الآنسة أليس ، فلقد كان يعرف أن زوجها سيكون له

الحق فى مشاركتها فى هذه الأموال» .

وقال هولمز : «فهمت ، لقد كان ذلك الوضع الجديد سيلوى ذراعه ويغل يده فيما أعتقد » ، فقالت السيدة تولر : «نعم يا سيدى ، ولقد حاول السيد روكاسل أن يجعل أليس توقع على ورقة تتيح له أن يتصرف فى أموالها سواء تزوجت أو لم تتزوج ، ولكنها رفضت وبعدئذ ظل السيد روكاسل يلاحقها بهذا الطلب أسبوعًا بعد أسبوع حتى مرضت . وكادت الحمى أن تودى بحياتها، وظللنا لمدة ستة أسابيع ونحن لا نعرف ما إذا كانت ستشفى أم لا . وبسبب الحمى ، تم قصّ كل شعر رأسها . ولكنها شفيت – على الرغم من أن مرضها قد جعلها تبدو شاحبة الوجه نحيلة القوام» .

وسألها هولمز : «وماذا كان شأن السيد فاولر فى كل ذلك ؟» فقالت السيدة تولر : «لقد ظل مرتبطا بها كما يفعل أى رجل مخلص » .

وقال هولمز : «أشكرك يا سيدة تولر . أعتقد أننى أستطيع أن أستخلص بقية القصة لقد سجن السيد روكاسل بعدئذ ابنته فى الجناح المهجور من المنزل وأخبر السيد فاولر أنها لم تعد تهتم بشأنه» ، فقالت السيدة تولر : «نعم يا سيدى ، ولكن السيد فاولر أصر على المجىء بالقرب من المنزل ومراقبته وهو يأمل أن يقابل الآنسة أليس» .

وقال هولمز : «ولذلك أحضر السيد روكاسل الآنسة هنتر من لندن لكى تقوم بدور أليس كبديل لها فى محاولة لإقناع السيد فاولر أنها لم تعد تهتم به» فقالت السيدة تولر : «كان ذلك كذلك يا سيدى» .

واستطرد هولمز يقول : «وأنا أستطيع أن أزعم يا سيدة تولر أن السيد فاولر قد نجح فى أن يستميلك إلى جانبه ربما وأنت فى طريقك إلى السوق وأقنعك باستعطافك أو فى مقابل بعض المال أن تساعديه» فقالت

السيدة تولر : «إن السيد فاولر رجل طيب جدا وكريم جدا» وكانت تبتسم .

فقال هولمز : «وهو قد أرسل إليك كمية كبيرة من الويسكى من أجل زوجك لكى يجعله مخمورا فاقد الوعى بينما تتأكدين أنت أن السلم جاهز لكى يستخدمه بمجرد أن يغادر روكاسل المنزل» ، فقالت السيدة فاولر : «كانت تلك بالضبط هى الطريقة المتفق عليها» .

وقال هولمز : «أشكرك يا سيدة تولر . إنك بالفعل قد أوضحت كل شىء كان يحيرنا . وأنا الآن أسمع أصواتا فى الصالة ، ربما كانت أصوات زوجك بالإضافة إلى السيدة روكاسل والطبيب . ولذلك يا دكتور واطسون أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نعيد الآنسة هنتر إلى وينشيستر ، ونخرج نحن أنفسنا من هنا لأن أفراد أسرة روكاسل سيجدون أنه لا مبرر لوجودنا هنا» .

وقال الدكتور واطسون : «وهو كذلك يا هولمز ، ولكن هل تسمح لى أن أهنئك مرة أخرى على الحل الرائع الذى توصلت إليه لحل هذا اللغز. لقد خمنت كل شىء حتى قبل أن تفسره السيدة تولر» ، وقال هولمز وهو يتبسم : «الملاحظة البسيطة والاستنتاج الصحيح يا عزيزى واطسون» .

وبعد بضعة أسابيع ، بينما كان هولمز والدكتور واطسون يجلسان أمام المدفأة فى المنزل رقم ٢٢١ ب ، استعاد الطبيب الشاب ذكرى هذه القضية مرة أخرى بقوله : «يا هولمز ، ألم تصل إليك أية أنباء أخرى عن منزل كوبر بيتشيز؟» .

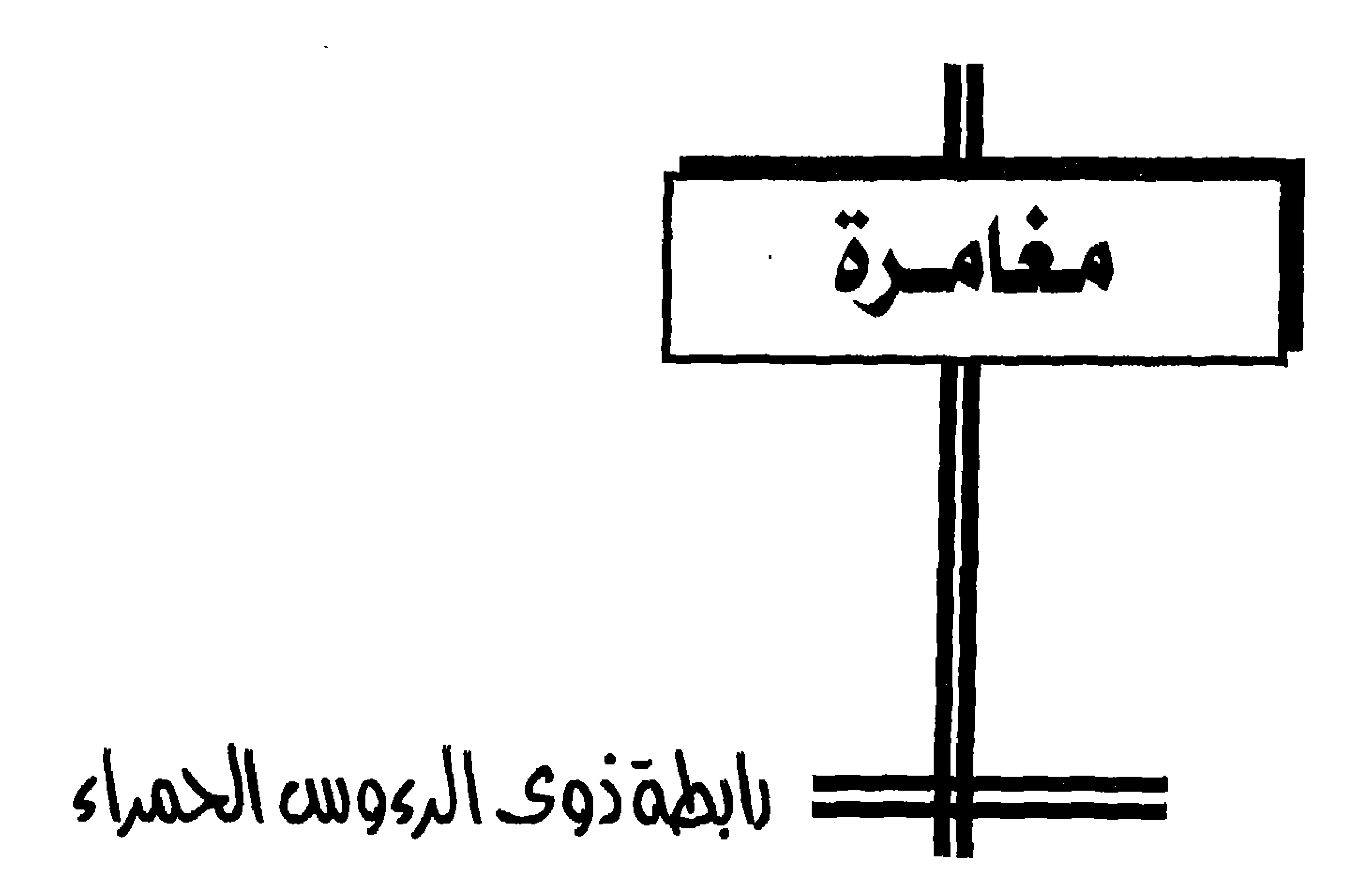
وقال هولمز : «نعم يا واطسون ، لقد علمت أن السيد روكاسل قد نجا من هجوم الكلب عليه ، ولكنه رجل مهزوم ظل على قيد الحياة فقط بفضل عناية زوجته المخلصة والخدم المخلصين فى ولائهم له» .

قال واطسون : «وماذا بشأن ابنته ؟» فقال هولمز : «الآنسة أليس روكاسل والسيد فاولر تزوجا فى بلدة «ساوث هامبتون» فى اليوم التالى لهروبهما من منزل كوبر بيتشيز . وهما الآن يعيشان فى جزيرة «موريشيوس» وهى جزيرة تحت سيطرة بريطانيا فى المحيط الهندى ، فالرجل الشاب يشغل وظيفة حكومية هناك» .

وسأله واطسون : «وماذا بشأن الآنسة ڤيوليت هنتر ؟» فقال هولمز : «يقول خطابها إنها قد عثرت على وظيفة ممتازة كناظرة لمدرسة خاصة فى بلدة «وولسال» وهى سعيدة كل السعادة بهذه الوظيفة» .

فقال واطسون وهو يتنهد بارتياح : «كل شىء على ما يرام إذن يا هولمز ؟» فقال هولمز وهو مقطب الجبين : «لا يا واطسون ، ليس كل شىء على ما يرام تماما . لن يكون كل شىء على ما يرام حتى توجد معضلة غامضة أخرى لتتحدى الملكات العبقرية لدى شرلوك هولمز العظيم !»

تمت


مغامرة
رابطة ذوى الرءوس الحمراء

عندما جاء الدكتور چون واطسون لزيارة صديقه شرلوك هولمز ذات يوم من أيام فصل الخريف ، وجد أن المخبر السرى العظيم كان منهمكاً فى حوار عميق مع رجل فى أواسط العمر ، ممتلئ الجسم إلى حد كبير، أحمر الوجه ، يعلو رأسه شعر أحمر نارى اللون .

وقال واطسون وهو يقف أمام الباب : «معذرة يا هولمز . أنا لم أقصد أن أتدخل فى الحوار» .

وقال هولمز : «لا ، أبدا ، ادخل وأغلق الباب وراءك» ثم استدار هولمز نحو ضيفه ، وقال له : «الدكتور واطسون قد ساعدنى فى حل كثير من القضايا بنجاح عظيم ، وليس عندى شك فى أنه سيكون ذا نفع كبير فى المساعدة على حل قضيتك أيضا يا سيد ويلسون» .

وأومأ الرجل الممتلئ الجسم برأسه مرحبا بتدخل الدكتور واطسون بينما اضطجع هولمز فى كرسيه للوراء وقد تشابكت أصابع يديه كما كانت عادته عندما يكون فى حالة تفكير عميق .

وبعد أن كان الدكتور واطسون قد جلس على إحدى الأرائك ، مال هولمز بصدره للأمام ثم قال : «لقد بدأ السيد چابيز ويلسون يخبرنى هنا قصة آمل أن تكون واحدة من القصص غير المعتادة التى سمعتها منذ مدة طويلة . أنا متأكد تماما أنه قد تم ارتكاب إحدى الجرائم ، ولكننى أريدك أن تسمع الحكاية من أولها يا واطسون مباشرة من شفتى السيد ويلسون ، وأنا متأكد أنك ستوافقنى على أننى لم أصادف قضية مثل هذه القضية من قبل» .

وأخرج چابيز ويلسون صحيفة مطوية الصفحات من جيبه ، وبسطها فوق ركبتيه . وكانت إحدى صفحات الجريدة مليئة بالإعلانات المبوبة . وبينما كان السيد ويلسون يمر بإصبعه فوق أحد الأعمدة فى الصحيفة ، جعل واطسون يتأمله بضع لحظات ليتأكد جيدا كم كان يستطيع أن يعرفه عن الرجل من خلال مظهر الرجل - وذلك وفقا للأساليب التى كان شرلوك هولمز قد أوصاه بها .

كانت ملابس چابيز ويلسون تنم عن أنه تاجر بريطانى متوسط الحال على الرغم من أن السلسلة الثقيلة التى يتدلى منها مثلث من المعدن قد لفتت نظر واطسون . وفيما عدا ذلك لم يكن هنالك شيء يمكن أن يستدعى الانتباه فيما عدا شعر رأس الرجل المتوهج وتعبير الغضب على قسمات وجهه بكل وضوح .

وراقب هولمز صديقه واطسون وهو يتمعن فى دراسة ضيفه ، وابتسم هولمز يقول : «فيما عدا حقيقة أن السيد ويلسون قد مارس عملا يدويا وأنه كان قد ذهب إلى الصين وأنه قد مارس كثيرا من الكتابة فى الأيام الأخيرة ، فأنا لا أستطيع أن أكتشف أى شيء آخر» .

ورفع چابيز ويلسون عينيه عن صحيفته وهو يحملق قائلاً : «كيف بحق السماء عرفت بالفعل كل ذلك يا سيد هولمز؟ صحيح أننى فى وقت من الأوقات كنت قد مارست عملا يدويا . كانت أول مهنة عملت بها هى مهنة نجار فى إحدى السفن» .

قال هولمز : «يداك يا سيدى العزيز . يدك اليمنى أضخم بكثير من يدك اليسرى ، والعضلات فى اليد اليمنى أكثر تطوراً» .

قال ويلسون : «ولكن ، ماذا بشأن الكتابة ؟» فقال هولمز موضحا

ذلك الشأن : «الكُمُّ الأيمن للسترة الخاصة بك يلمع من جراء الاحتكاك بالأوراق . البادچ الملصق عند الكوع الأيسر أكثر نعومة حيث كنت ترتكز به على المكتب وأنت تكتب لمدة طويلة» .

وصاح ويلسون قائلا : «هذا مدهش ! ولكن كيف عرفت أننى كنت قد ذهبت إلى الصين ؟» فقال هولمز : «وشم السمكة الموجود فوق رسغ يدك اليمنى يمكن أن يكون قد تم وشمه فى الصين دون غيرها ، لقد قمت بعمل دراسة على كل أنواع رسومات الوشم فى كل بلاد العالم ، وأنا أستطيع أن أتعرف على رسومات الوشم المستخدمة فى كل دولة وبالإضافة إلى ذلك ، قطعة العملة التى تتدلى من سلسلة ساعة جيبك صناعة صينية أيضا» .

وقال چابيز ويلسون وهو يضحك من أعماق قلبه : «حسنا لم أشهد شأنا كهذا الشأن أبدا» .

قال هولمز : «والآن فلنمض إلى القضية التى بين أيدينا . هل وجدت الإعلان يا سيد ويلسون؟» .

وأجاب ويلسون قائلا : «نعم ، وجدته الآن . هذا هو الإعلان الذى بدأ الموضوع كله . اقرأه فقط» وأشار بإصبعه نحو الإعلان .

وأخذ واطسون الصحيفة التى مد السيد ويلسون يده بها وبدأ يقرأ الإعلان بها، وكان كما يلى :

«إلى رابطة ذوى الرءوس الحمراء . وفقًا لشروط ووصايا المرحوم إذكيا هوبكنز من لبنان ، الذى كان مقيما فى بنسلڤانيا ، تأسست رابطة ذوى الرءوس الحمراء . يوجد الآن مكان شاغر لعضو جديد بالرابطة ذى راتب يصل إلى أربعة جنيهات فى الأسبوع فى مقابل خدمات قليلة جدا .

وكل الرجال ذوى الرءوس الحمراء الذين يتمتعون بصحة جيدة فوق الحادية والعشرين من العمر مسموح لهم بالتقدم لنيْل العضوية . قدّمْ طلبك شخصيا يوم الإثنين فى الساعة ١١ ص إلى دونجان روس فى مكتب الرابطة فى رقم ٧ بولبس كورت بشارع فليتْ» .

وعندما قرأ واطسون العنوان اضطجع فى الأريكة التى كان يجلس عليها متحيرا ثم قال : «وماذا يعنى هذا إن كان له أى معنى فى دنيا الناس فى كل أنحاء الأرض؟» .

وقال هولمز وهو يضحك : «هذا شأن عجيب إلى حدٍّ ما ، أليس كذلك؟» ثم استدار نحو چابيز ويلسون ، وقال له : «والآن ، ياسيدى ، حدثنا عن نفسك، وعن أفراد أسرتك ، وقل لنا : ماذا حدث لك عندما قرأت هذا الإعلان» .

وقال چابيز ويلسون : «نعم ، ياسيد هولمز ، منذ اليوم الذى ظهر فيه ذلك الإعلان فى جريدة مورننج كرونيكول فى السابع والعشرين من شهر إبريل سنة ١٨٩٠ منذ شهرين فقط* ، انقلبت حياتى بطريقة عجيبة .... حسنا ، لنبدأ من البداية . عندى محل صغير للرهونات فى ميدان كوبيرچ هنا فى لندن وليس هذا العمل عملا كثير الرواج ، وهو بالكاد يمدنى بمطالب معيشتى الضرورية . كان يوجد عندى فى العادة مساعدان لى فى عملى . ولكننى الآن ليس عند إلا مساعد واحد . ولقد غدا من الصعب بالنسبة لى أن أتمكن من دفع أجر هذا العامل ، ولكنه موافق أن يستمر فى العمل معى فى مقابل نصف الأجر لأنه يريد أن يتعلم أسرار المهنة» .

وسأله هولمز قائلا : «ما اسم هذا الشاب الطموح؟» وأجاب ويلسون

قائلا : «اسمه : فينسنت سبولدنج . وهو ليس فى مقتبل العمر ، ومن الصعب تخمين عمره ، ولكننى لا أستطيع أن أطالب بمساعد أفضل منه من حيث المظهر ، وهو بالتأكيد لا يستطيع أن يحسّن موقفه ليكسب أكثر مما أدفع له ، ولكنه كان يبدو راضيا ، ولماذا أوحي له أنا بأى فكرة وهذه هى حاله؟» .

قال هولمز : «يبدو أنك محظوظ أن تحظى بمثل هذا المساعد المنقطع النظير» فقال السيد ويلسون : «سبولدنج له أخطاؤه وعيوبه أيضا ؛ إنه دائما مولع بهوايته - التصوير الفوتوغرافى ، يشطح بعيدا عن المحل ومعه آلة التصوير ، وبعد ذلك يختبئ فى المخزن لكى ينشغل فى تحميض الصور، ولكن بصرف النظر عن هذا العيب ، فهو عامل لا بأس به» .

وسأله هولمز : «هل هو يقيم معك أيضا؟» فقال ويلسون : «نعم ، إنه يقيم معى ، ومعه زوجته التى تقوم ببعض أعمال الطبخ وببعض أعمال النظافة القليلة. أنا أرمل ياسيد هولمز ، ولم يبق لى عائلة ، ونعيش نحن الثلاثة (سبولدنج وزوجته وأنا) فى هدوء تام .... وعلى كل حال ، كان سبولدنج هو الذى اشترى نسخة من صحيفة الكرونيكول وجاء بها إلى المحل الخاص بى بالضبط منذ ثمانية أسابيع مضت قبل هذا النهار» .

وتوقف عن الكلام لحظة ثم استطرد قائلا : «وضع سبولدنج الصحيفة فى يدى وقال لى : كنت أتمنى من الله يا سيد ويلسون أن أكون رجلا أحمر الرأس !» .

وسألته : «ولماذا ذلك التمنى؟» .

قال سبولدنج بشغف : «لأنه توجد وظيفة خالية فى رابطة الرجال ذوى الرءوس الحمراء . وهى تعنى الحظ الحسن لأى رجل يحصل عليها . لو

كان شعر رأسي يتغير لونه لكان من المحتمل أن أطفو على سطح الحياة» .

وسألته : «وما هى هذه الرابطة يا سبولدنج ؟» ، فقال لى : «ألم تسمع أبدا عن رابطة ذوى الرءوس الحمراء ؟» ، وأجبته قائلا : «لم أسمع عنها أبدا .» فقال : «هذا شأن غريب ، لأنك أنت نفسك مسموح لك أن تصبح عضْواً فيها» . فقلت : «وماذا يعمل العضو فيها؟» ، فقال سبولدنج : «بعض العمل الخفيف الذى لا يتعارض مع أى مهنة أخرى ، وفى مقابله يتقاضى الشخص المحظوظ ٢٠٠ جنيه كل سنة» .

واستطرد السيد ويلسون قائلا : «حسنا يا سيد هولمز ، جعلنى ذلك أفتح أذنى لأنه كما سبق أن أخبرتك لم تكن أحوال العمل جيدة فى السنوات القليلة الماضية . وهاتان المئتان من الجنيهات ستأتيان عندى بسهولة . ولذلك أخذت الصحيفة من سبولدنج وقرأت الإعلان ثم سألته عما يعرفه عن رابطة ذوى الرءوس الحمراء .

وقال لى سبولدنج : «يا سيد ويلسون ، فى حدود ما أعرفه ، تم تأسيس هذه الرابطة على يدى مليونير أمريكى اسمه إذكيا هوبكنز الذى كان غريب الأطوار إلى حدٌ ما . وكان هو نفسه أحمر الشعر ، وكان متعاطفا مع الرجال ذوى الشعر الأحمر . ولذلك ، وعند وفاته ، وضعت ثروته تحت إشراف لجنة من الأوصياء مع إعطائها تعليمات لتستخدم فوائد الأموال لمصلحة الرجال ذوى الشعر الأحمر» .

وقلت مخاطبا سبولدنج : «ولكن من الضرورى أن هنالك ملايين الرجال الذين يمكن لهم أن يتقدموا لعضوية هذه الرابطة» . وأجابنى سبولدنج بقوله : «لا يوجد كثير كما يتبادر إلى ذهنك . كان هوبكنز الكبير إنجليزيا بحكم مولده وكان قد قيد العضوية فى الرابطة بحيث

تنحصر فى أهالى مدينة لندن . وهنالك أيضا اعتبارات أخرى . لقد سمعت أن الجمعية ترفض منح العضوية لذى الشعر الأحمر الخفيف الاحمرار أو الغامض فى احمراره . وأولئك الرجال الذين لهم شعر أحمر متوهج نارى اللون هم الذين يتم قبولهم كأعضاء فى الرابطة فى حقيقة الأمر . وكل شخص أحمر الشعر عليه أن يدخل عندهم ويتقدم بطلبه ، ما لم يكن مبلغ ٢٠٠ جنيه مبلغاً قليل ضئيل الأهمية بالنسبة إليك .

واندفع الدكتور واطسون قائلاً : «بالطبع كنت أنت مؤهلا للانضمام للرابطة ، إن شعرك أحمر وافر الاحمرار بدرجة تكفى للتغلب فى أى منافسة» .

فقال چابيز ويلسون : «نعم ، لقد ظننت ذلك أيضا يا دكتور واطسون. ولذلك أوصيت سبولدنج أن يغلق المحل وأن يصحبنى حيث إنه كان يبدو أنه كان يعرف الكثير عن الرابطة» .

وسأله هولمز : «وماذا حدث عندما ذهبتما إلى الرابطة ؟» ، فقال ويلسون : «إن المنظر الذى قابلنا فى شارع فليت كان على وجه التقريب لا يمكن تصديقه . كانت حشود من الرجال ذوى الرءوس الحمراء تملأ الشوارع من كل اتجاه – رجال يتدرج عندهم اللون بكل درجات اللون الأحمر بدءا من لون القش إلى اللون البرتقالى إلى اللون الطوبى إلى لون الكبدة الداكن الاحمرار، ولكن لم يكن يوجد كثير من ذوى الشعر الأحمر الحقيقى الوافر الاحمرار الملتهب احمرارا . وعندما رأيت الحشد المنتظر فى بويزكورت ، كنت مستعداً أن أتخلى عن الموضوع لفرط اليأس . ولكن سبولدنج لم يصغ إلى كلامى فى هذا الصدد . وبطريقة ما استطاع أن يشق طريقا بين الحشد حتى اقتادنى مباشرة عند درجات سلم المكتب» .

وقال له واطسون : «هذه تجربة شيقة جدا . أرجوك أن تستمر فى ذكر تفاصيلها» .

واستطرد چابيز ويلسون يقول : «ولم يكن يوجد شىء فى المكتب اللهم إلا كرسيان خشبيان ومنضدة كان يجلس إليها رجل ضئيل الجسم ورأسه أكثر احمرارا من رأسى أنا أيضا . وقال كلمات قليلة للرجال المصطفين أمامى وبدا أنه كان قد وجد شيئا على غير مايرام بالنسبة لكل منهم . وعندما جاء دورى ، ابتسم لى وأغلق الباب» .

وقال له سبولدنج : «هذا هو السيد چابيز ويلسون وهو يرغب فى أن يملأ طلب الالتحاق بالرابطة» وقال الرجل : «يبدو أنه مناسب جدا لذلك الغرض . أنا لا أستطيع أن أتذكر أننى كنت قد رأيت مثل هذا الرأس الرائع ذى الشعر الأحمر» ، ثم مشى الرجل بضع خطوات فى اتجاهى ، وصافحنى وقدم لى التهانى .

واستطرد السيد چابيز ويلسون قائلا : «وبعد ذلك ترك الرجل يدى ثم قال : آمل يا سيدى العزيز أن تسامحنى فيما أوشك أن أفعله ولكننى يلزم أن أتأكد تماما . وأمسك الرجل بشعر رأسى فى يديه كلتيهما وشد شعر رأسى بشدة حتى صحت من الألم . وعندما تركنى أفلت من بين يديه كانت الدموع تملأ عينى ولكنه أوضح لى الأمر بقوله : يجب أن نلزم جانب الحذر . لأننا كنا قد خدعنا مرتين من قبل بالشعر المستعار فى «باروكة» ، وخدعنا مرة أخرى بالشعر المصبوغ . ثم مشى نحو النافذة وصاح بأعلى نبرات صوته إن الوظيفة الشاغرة قد شُغِلَتْ . وتصاعدت إلينا أصوات تعبر عن خيبة أمل الحشد الموجود أسفل النافذة بالشارع . وشرعوا جميعا فى التحرك مبتعدين فى اتجاهات مختلفة» .

واستطرد السيد چابيز ويلسون يقول : ثم استدار الرجل ذو الشعر الأحمر نحوى ، وقال : «أنا اسمى دنكان روس من العاملين بالرابطة وسوف أحتاج أن أوجه إليك بعض الأسئلة ، وأولها هو : هل أنت متزوج؟ وهل عندك أسرة؟ وعندما قلت له لا ، اربدّ وجهه وقال بحزن شديد : «ياللتعاسة ! هذا شأن خطير جدا فى حقيقة الأمر . الرابطة تحرص حرصًا شديدًا على أن يكون أعضاؤها لديهم أطفال يستطيعون أن يحملوا الشعر الأحمر الذى ورثوه عن آبائهم» .

واستطرد السيد چابيز ويلسون يقول : «وسقط رأسى فوق صدرى من فرط خيبة الأمل يا سيد هولمز ، ولكن بعد بضع دقائق قال روس إن كل شىء سيكون على ما يرام - إنه سيتخذ إجراء استثنائيا لأنه كان معجبا جدا بشعرى الأحمر . وبعد ذلك سألنى : «متى سأكون مستعداً أن أبدأ واجباتى تجاه الرابطة» . وقلت له : «ولكن أنا عندى مهنتى بالفعل» .

وصاح ڤينسنت سبولدنج يقول : «لا تهتم بهذا الشأن يا سيد ويلسون، سأهتم أنا بهذا الشأن من أجلك» .

وسألتُ روس : «ماهى الساعات اللازمة للعمل وأداء الوجبات نحو الرابطة ؟» ، فقال روس : «يلزم أن تكون موجودا بالمكتب من الساعة العاشرة حتى الساعة الثانية بعض الظهر كل يوم دون أن تغادر المكتب . ولو خطوت خطوة واحدة خارج هذا المبنى فى وقت العمل ستفقد كل مميزات العمل . إن وصية السيد هوبكنز واضحة جدا بشأن هذه النقطة» .

واستطرد السيد چابيز ويلسون يقول : «وكان ذلك يبدو لى على أتم مايرام يا سيد واطسون لأننى أمارس أعمالى فى محل الرهونات فى المساء فى أغلب الحالات . وبالإضافة إلى ذلك كنت أعرف أن سبولدنج رجل

طيب وأنه كان سيعمل ما وعدنى به بالضبط . ولذلك وافقت روس على ساعات العمل ، ثم سألته عن نظام دفع النقود فقال روس : «أربعة جنيهات فى الأسبوع» . وسألته عن العمل الذى أقوم به فقال لى : «أنت ستنسخ دائرة المعارف البريطانية صفحة بعد صفحة . والمجلد الأول موجود فى دورة المياه . ويلزم أن تدفع ثمن الحبر الذى تكتب به والأقلام والورق ، ولكننا نقدم لك هذه المنضدة وهذا الكرسى . هل يمكنك أن تبدأ العمل اعتبارا من الغد؟» .

واستطرد السيد چابيز ويلسون قائلا : «ووافقت يا سيد هولمز ، ورجعت أنا وسبولدنج إلى المنزل ، وكان كل منا مسرورا بسبب حظى الحسن . ولمدة ساعات كثيرة كنت مبتهجا ثم انهارت معنوياتى وأقنعت نفسى أن الأمر كله كان مجرد نكتة أو خدعة كان شخص يمارسها معى ، ولكننى لم أستطع أن أعرف السبب . وبدا أنه من غير المعقول أن أى شخص يمكن أن يترك وصية تقضى بتكريس أموال طائلة تدفع إلى أناس لمجرد أن يعملوا شيئا بسيطا لمجرد نسخ صفحات من دائرة المعارف البريطانية . ولكن بفضل تشجيع سبولدنج وبسبب حب الاستطلاع ، ذهبت إلى «پوپز كورت» فى صباح اليوم التالى وأنا أحمل زجاجة حبر وقلما من البوص وسبع ورقات كبيرة الحجم» .

واستمر السيد چابيز ويلسون يقول : «ولدهشتى ، كان كل شىء جاهزا ، وكان السيد دنكان روس موجودا ليرى ما إذا كنت قد ذهبت إلى العمل مباشرة فى الموعد المحدد . وأعطانى المجلد الذى يحوى كلمات حرف A من دائرة المعارف ثم غادر المكان ، ولكنه كان يحضر بين آن وآخر ليرى ما إذا كان كل شىء على ما يرام . وفى الساعة الثانية قال

لى: مع السلامة ، وقدم لى التهانى بشأن عدد الصفحات التى كنت قد كتبتها .

«ومضى الحال على هذا المنوال يومًا بعد يوم يا سيد هولمز ، ويوم السبت ، جاء السيد روس ووضع فى يدى أربعة جنيهات ذهبية فى مقابل عملى لمدة أسبوع ، واستمر الحال على هذا المنوال أسبوعا بعد أسبوع لمدة ثمانية أسابيع . وكان التغيير الوحيد يتمثل فى أن روس كان يتوقف عن المجىء إلى المكتب بالتدريج حتى توقف عن المجىء نهائيًا . وكنت رغم ذلك لا أجرؤ على مغادرة المكتب خشية أن أفقد عملى .

«وخلال هذه الأسابيع كنت أكتب على التوالى الكلمات التى تبدأ بحرف A تباعا كما هى موجودة فى دائرة المعارف حتى انتهيت من كل الكلمات التى تبدأ بحرف A ، وكنت مستعدا للانتقال إلى كتابة الكلمات التى تبدأ بحرف B عندما انتهت المهمة كلها فجأة» .

وقال هولمز : «هل انتهت المهمة كلها؟» ، فقال چابيز ويلسون : «نعم يا سيدى ، هذا الصباح بالضبط . ذهبت إلى العمل كالمعتاد فى الساعة العاشرة ، ولكن باب المكتب كان مغلقا وقد وضع عليه القفل . وكانت بطاقة صغيرة مربعة الشكل مثبتة بالمسامير على الباب . وها هى ذى البطاقة» .

وقَدَّمَ چابيز ويلسون بطاقة قرأ فيها الدكتور واطسون ما يلى : رابطة الرءوس الحمراء قد تم حلُّها فى اليوم التاسع من شهر أكتوبر سنة ١٨٩٠ .

وعلى الفور ، انفجر هولمز ضاحكا ، وصاح السيد ويلسون وقد احمر وجهه حتى أصبح فى لون احمرار شعره وهو يقول : «أنا لا أستطيع أن

أجد أى شيء مثيرا للضحك . وإذا كنت لا تستطيع أن تعمل أى شيء سوى الضحك منى سأنقل قضيتى إلى مكان آخر» .

وصاح هولمز وهو يعيد چابيز ويلسون إلى الكرسى الذى كان قد أوشك على النهوض منه ، وقال له : «لا ، لا ، أنا لن أترك قضيتك ولو تركت العالم كله، ولكن من اللازم أن تعترف أنت نفسك أن فى حكايتك شيء مضحك . ولكن قل لى : ماذا فعلت بعد ذلك ؟» .

فقال چابيز ويلسون : «لقد صدمت يا سيدى ، ولم أعرف ماذا أفعل. وسألت الناس فى المكاتب المجاورة ولكن لم يكن أحد يدرى شيئا عن الموضوع، وذهبت إلى صاحب المبنى لكى أستفسر منه ما إذا كان يعرف أى شيء عن دنكان روس ورابطة ذوى الرءوس الحمراء ، ولكن الرجل قال : إنه لم يسمع أبدا مثل هذه الأسماء ، وقلت له : إنه الرجل الذى فى الشقة رقم (٤) ، فقال: أوه : هل هو الرجل ذو الشعر الأحمر ؟ ما هذا ؟ إن اسمه هو وليام موريس . ولقد كان قد أخبرنى أنه محام وكان يستأجر الشقة حتى يتم تجهيز مكتبه . ولقد انتقل أمس فقط إلى مكتبه الجديد . وفى الحقيقة ، وصل به الأمر إلى أن ذكر لى أن مكتب ذلك المحامى الجديد الذى انتقل إليه أمس عنوانه هو رقم ١٧ بشارع كنج إدوارد» .

واستطرد چابيز ويلسون يقول : «وبالطبع ، ذهبت مباشرة إلى ذلك العنوان يا سيد هولمز ، ولكن المحل الوحيد المستأجر فى ذلك العنوان كان يخص شركة لإنتاج عظام الركبة الصناعية ، ولم يكن أحد هناك يعرف السيد وليام موريس ولا السيد دنكان روس» .

وسأله هولمز : «وماذا فعلت بعد ذلك يا سيد ويلسون ؟» ، فقال

ويلسون : «عدت إلى البيت وتكلمت بشأن هذا الموضوع مع ڤينسنت سبولدنج . ولقد نصحنى أن أنتظر - عسى أن تصلنى أى أخبار بالبريد -. ولم يكن ذلك مناسبا لى بما فيه الكفاية . إننى لم أكن أريد أن أفقد مثل هذا العمل الجيد ، ولذلك جئت إليك» .

وقال هولمز : «كان ذلك تصرفًا حكيما من جانبك إننى مهتم إلى أقصى حد بقضيتك لأننى أعتقد أنها أكثر خطورة مما تبدو للوهلة الأولى» .

وصاح چابيز ويلسون وهو يقول : «إنها خطيرة إلى حد كبير ! إن أربعة جنيهات كل أسبوع شيء خطير» . وقال له هولمز : «أنا لا أستطيع فى حقيقة الأمر أن أعرف كيف تستطيع أن تشكو من الرابطة . إنك على كل حال قد غدوت أكثر ثراء بعد أن حصلت على ثلاثين جنيها منها لو تغاضينا عن المعرفة التى حصلت عليها فى كل الكلمات التى تبدأ بحرف «A» .

فقال چابيز ويلسون : «ولكننى بكل تأكيد أريد أن أعرف يا سيد هولمز - من هم ؟ ولماذا لعبوا هذه اللعبة معى؟» .

وقال هولمز : «نحن سنحاول أن نحل هذا اللغز لك يا سيد ويلسون ، ولكن يلزمنا فقط سؤال أو سؤلان . مساعدك ، سبولدنج ، أول شخص جذب اهتمامك نحو الإعلان - ما مدة عمله معك قبل ذلك ؟» فقال ويلسون : «عمل معى قبل شهر من الإعلان» فقال هولمز : «وكيف جاء لكى يلتحق بالعمل عندك؟» ، فقال ويلسون : «أعلنت عن حاجتى إلى مساعد ، وجاء عندى دستة من الراغبين فى الحصول على عمل» ، فقال هولمز : «ولماذا اخترت سبولدنج من بينهم لكى تلحقه

بالعمل ؟» ، فقال ويلسون : «كان يبدو أنه ذكى ، وكان يرغب فى العمل مقابل أجر زهيد كما سبق أن أخبرتك» .

وتمتم هولمز قائلا : «نعم ، نصف أجر . قل لى يا سيد ويلسون كيف يبدو هذا الشخص المدعو ڤينسنت سبولدنج ؟» .

فقال چابيز ويلسون : «ضئيل الحجم ، قوى البنية ، سريع الحركة جدا ، ويوجد أثر أبيض اللون من تأثير حمض فوق جبينه ، وله وجه ناعم لدرجة أنه لا يحتاج أن يحلق ذقنه مع أنه قد بلغ أكثر من ثلاثين سنة من عمره» .

ومال هولمز إلى الأمام فى مقعده وصاح قائلا : «هذا هو ما توقعته . قل لى يا سيد ويلسون : هل أذناه مثقوبتان لوضع أقراط ؟» .

فقال ويلسون : «ما هذا ؟ لماذا ؟ نعم ، يا سيدى . لقد أخبرنى أن إحدى نساء الغجر فعلت ذلك عندما كان صبيا» . فقال هولمز : «هل سبولدنج لا يزال يعمل معك ؟» فقال ويلسون : «نعم ، لقد تركته بالمحل منذ برهة فقط» . فقال هولمز وهو ينهض واقفا على قدميه : «هذا يكفى يا سيد ويلسون . اليوم هو يوم السبت ، ويتعين أن أحل هذا اللغز بمجىء يوم الإثنين» .

وبمجرد أن انصرف چابيز ويلسون استدار هولمز نحو واطسون وقال له : «حسنا ، يا واطسون ، ماذا تستنتج من هذا كله ؟» فقال واطسون : «لا أستنتج أى شىء . الموضوع كله غامض منغلق بالنسبة لى . ماذا تخطط لتعمل ؟» .

وقال هولمز وهو يكور ركبتيه أمام صدره على المكتب حتى لامس أنفه ركبتيه ، وأغمض عينيه ، ووضع غليونه الحجر الأسمر اللون بين أسنانه

وقال : «التدخين . من فضلك لا تتكلم معى لمدة خمسين دقيقة» .

وبعد فترة من الوقت ، وعندما ظن واطسون أن هولمز كان قد استغرق فى النوم ، قفز المخبر السرى عن كرسيّه وصاح قائلا : « يا واطسون ، هل يستطيع مرضاك الاستغناء عن خدماتك لمدة ساعات قليلة ؟ أنا أريدك أن تحضر حفلا موسيقيا معى اليوم فى فترة ما بعد الظهر» .

وقال واطسون : «أنا عندى فراغ من العمل اليوم بطبيعة الحال يا هولمز ، ولكن ماذا عن ...؟» فقال هولمز بصبر نافد : «هيا ، هيا بنا ! أريد أن نصل إلى المدينة أولا» .

وركب هولمز ومعه واطسون قطار الأنفاق ، ونزلا منه ومشيا على الأقدام حتى وصلا إلى ميدان كوبيرج حيث كان يقع محل چابيز ويلسون . وكان الميدان تقع على أجنابه المبانى التى يتكون كل منها من طابقين وهى تطل على أرض فضاء مزروعة بالحشائش التى تتخللها مجموعات قليلة من الشجيرات . وفى أحد البيوت فى أحد أركان الميدان كانت توجد ثلاث كرات ذهبية اللون مع لوحة ذات لون بنى مكتوب عليها «چابيز ويلسون» باللون الأبيض كانت تحدد بالضبط مكان محل الرهونات .

ووقف هولمز أمام المبنى وأخذ يتأمله ، وكانت عيناه تلمعان بالبريق . ثم مشى ببطء فى الشارع ، ثم عاد إلى مفترق الطرق وهو لا يزال ينظر بتمعن إلى المنازل . وعندما عاد أمام المنزل الذى يوجد فى واجهته محل ويلسون ، نقر بعصاه بشدة على الرصيف ثم اتجه إلى الباب وطرق الباب.

وفُتح الباب بواسطة شخص جذاب المظهر حليق الذقن فى مقتبل الشباب ودعا هولمز ومعه واطسون إلى الدخول وقال له هولمز : «أشكرك .

أنا أريد فقط أن أسأل عن مكان محل ستراند» . فقال الشاب : «الشارع الثالث على اليمين ثم الرابع على اليسار» . وأغلق سبولدنج الباب .

وقال هولمز : «شاب رشيق . إنه فى الحقيقة يعتبر رابع رجل رشيق فى لندن. ويمكن لى القول بأنه يجوز أن يكون الثالث . لقد سبق لى أن سمعت عن ڤينسنت سبولدنج من قبل» .

وسأله واطسون: «وهو إذن له علاقة ما برابطة ذوى الرءوس الحمراء؟» فقال هولمز : «نعم» ، وسأله واطسون قائلا : «وأنت قد استفسرت منه عن الطريق لمجرد أن ترى كيف يبدو؟» فقال هولمز : «لم أكن أريد التعرف إلى ملامحه بل كنت أفضل أن أشاهد سرواله فوق ركبتيه . ولقد رأيت بالضبط ما توقعت أن أراه» .

قال واطسون : «ولماذا كنت تنقر بالعصا فوق الرصيف؟» فقال هولمز: «سيأتى هذا الشأن فيما بعد يا عزيزى واطسون . والمهم الآن هو أننى أرغب فى استطلاع الشوارع الواقعة وراء ميدان كوبيرج» .

وبينما كان هولمز ومعه واطسون يمران ببطء بالمبانى وراء محل چابيز ويلسون تغيرت معالم الشارع بسرعة . وبدلا من المنظر الغائم الهادئ فى ميدان كوبيرج أصبح الشارع واحدا من أهم الشوارع المكتظة بحركة المرور فى المدينة – فيه العربات والمشاة على الأقدام يهرعون فى كلا الاتجاهين بين رائح وغاد ، وبينما كانا يمشيان كان هولمز يقرأ أسماء الشركات والمحلات التى كانا يمران بها : محل مورتيمار للدخان ، مطعم ڤيچيتاريان ، بنك المدينة والضاحية ، ومكتب شركة ميفارلين للعربات .

وقال هولمز : «والآن يا واطسون ، هذا يكفى . نحن الآن مستعدان لتناول العشاء ، ثم نمضى إلى حفلتنا المسرحية ، حيث لا يضايقنا

أصحاب الرءوس الحمراء» .

وفى تلك الأمسية جلس كل من شرلوك هولمز والدكتور واطسون فى صالة سانت جيمس الموسيقية ، وكان المخبر السرى نفسه موسيقارا موهوبا ومؤلفا فذا من مؤلفى الموسيقى وهو يلوِّح بأصابعه الطويلة النحيلة مع أنغام الموسيقى فى أوقات مناسبة وعندما انتهت الحفلة ، وعندما كان هولمز ومعه واطسون يغادران الصالة ، استعرض هولمز قضية چابيز ويلسون مرة أخرى .

وقال هولمز : «أنا أعتقد يا واطسون أن جريمة خطيرة يجرى الآن التخطيط لها ، ولكننى أشعر أن لدينا فرصة لإيقافها . وكون هذا اليوم هو يوم السبت ربما يجعل الأمور أكثر تعقيدا ولكننى سأحتاج إلى مساعدتك . والمطلوب منك فقط هو أن تكون موجودا فى شارع بيكر فى الساعة العاشرة من هذه الليلة وأرجوك أن تتكرم بإحضار مسدسك» وبعد أن لوَّح بيده ، استدار هولمز على عقبيه واختفى فى زحام الناس .

ووقف واطسون خارج صالة الموسيقى لمدة دقائق كثيرة وهو مذهول ثم تمتم يقول لنفسه : «كم أنا غِرٌ أحمق ؟ إننى قد رأيت وسمعت كل شيء رآه وسمعه هولمز ، ومع ذلك يبدو لى أنه يعرف بالضبط ما قد حدث ويعرف بالضبط كل ما هو على وشك أن يحدث بينما أنا مشوش الذهن تماما» .

وبينما كان واطسون يركب عربة فى طريق عودته إلى منزله ، حاول أن يخمن المسألة ، ولكنه فيما عدا قناعته بأن ڤينسنت سبولدنج ، مساعد صاحب محل الرهونات كان رجلا داهية وخطيرا فلقد كان واطسون لا يستطيع أن يفهم أى شيء آخر» .

وغادر الدكتور واطسون منزله فى الساعة ٩,١٥ . ولدى وصوله إلى رقم ٢٢١ ب فى شارع بيكر ، شاهد عربتين تتصفان بالأناقة وحُسْن المظهر تقفان عند منزل المخبر السرى .

وعندما كان واطسون يدخل المنزل ، وجد شرلوك هولمز منغمسا بعمق فى محادثة مع رجلين . وتعرف واطسون على أحدهما وهو بيتر چونز ، مفتش الشرطة فى إدارة سكوتلانديارد ، ولكن الرجل الآخر ، وهو رجل طويل القامة نحيل القوام يرتدى معطفا طويلا غامق اللون وقبعة خفيفة كان شخصا غريبا بالنسبة إلى واطسون .

وقال هولمز بينما كان واطسون يدخل : «آهٔ ها ! اكتملت مجموعتنا . يا عزيزى واطسون أنت تعرف السيد چونز من سكوتلانديارد» .

وتبادل كل من چونز وواطسون الابتسام وتصافحا .

وبينما كان هولمز يحكم غلق معطفه بالأزرار ثم يتناول عصاه قال : «ودعنى أقدمك يا واطسون إلى السيد مِرِّيوِيذَرْ الذى سيكون زميلنا فى مغامرة الليلة» .

وقال السيد / مريويذر باقتضاب : «آمل ألا ينفلت الموضوع من بين أيدينا كما لو كنا نطارد إوزة برية يصعب الإمساك بها» . وقال المفتش چونز : «إنك تستطيع أن تثق فى شرلوك هولمز . إن أساليبه يمكن أن تكون غير معتادة إلى حَدٍّ ما ، ولكنه فى معظم الأحوال يعمل بأقصى سرعة وبكل نجاح فى حل القضايا على نحو أفضل من هيئة الشرطة» .

فقال السيد مريويذر : «حسنا ، ليت الأمور تسير وفقا لما تقوله ، ومع ذلك من الضرورى أن أعترف أننى سأفتقد لعب الورق فى النادى . هذه أول ليلة من ليالى السبت لا أكون موجودا أثناءها داخل النادى منذ سبعة

وعشرين عاما» .

وعندئذ قال هولمز : «أنا أعتقد أنك ستلعب على رهان أعلى مما راهنت عليه فى اللعب من قبل ، واللعبة هذه المرة سوف تكون أكثر إثارة. سيصل بالنسبة إليك هذه المرة يا سيد مريويذر إلى ٣٠,٠٠٠ (ثلاثين ألف جنيه) وبالنسبة إليك أنت يا چونز سيكون الرهان هو مجرم كنت تبحث عنه لمدة سنوات مضت» .

وقال المفتش چونز : «صحيح أن الأمر كما تقول بالضبط يا سيد هولمز . لمدة سنوات متتالية كنت أنا أحاول تقديم ذلك الشخص المدعو چون كلاى ، القاتل ، اللص ، المزور إلى المحاكمة ، ولكن لم يحالفنى الحظ فى ذلك حتى الآن ، إنه رجل فى مقتبل العمر ، ولكنه فى قمة البراعة فى مهنته الإجرامية . ومما يدعو إلى الرثاء أيضا أن جدّه لأبيه كان يحمل لقب دوق ، وهو لقب خلعه عليه الملك ، ولقد التحق كلاى الشاب المجرم بجامعة إيتون وجامعة أكسفورد لمدة عامين ، وهما جامعتان من أرقى الجامعات فى إنجلترا . إن ذهنه ماكر بارع كبراعة أصابع يده ، وأنا لم أستطع أبدا أن أصل إليه أو أن أقبض عليه» .

قال هولمز : «أنا آمُلُ إذَنْ أننى سأستمتع بتقديمك لتتعرف على السيد چون كلاى فى هذه الليلة . والآن ، يا سيادة المفتش حان الوقت لكى تتحرك ونغادر هذا المكان ولو تفضلت أنت والسيد مريويذر بركوب العربة الأنيقة الأولى، وسيركب واطسون معى فى العربة الثانية» .

وأثناء سير العربتين فى شوارع لندن المضاءة بمصابيح الغاز ، جلس شرلوك هولمز يدندن بالألحان الموسيقية التى كان قد سمعها فى فترة ما بعد الظهيرة ... وأخيرا ، لم يعد واطسون يستطيع أن يتمالك نفسه

وانفجر قائلا : «يا هولمز ، إلى أين نحن ذاهبان ؟ ولماذا يأتى معنا السيد چونز وذلك السيد المدعو مريويذر أيًا من يكون ؟» .

فقال هولمز : «يا عزيزى واطسون ، لقد اقتربنا من هدفنا إلى حد كبير الآن . هذا الشخص المدعو مريويذر هو مدير أحد البنوك ، وهو لذلك لديه اهتمام كبير بهذا الموضوع وبالنسبة إلى چونز ، فهو على الرغم من غبائه التام كرجل من رجال الشرطة فهو شجاع ثابت الجنان مثل هذا المبنى ولا يدع ضحيته يفلت من بين يديه أبدا حالما يتم له القبض عليه .... آه، ها قد وصلنا وهما ينتظران وصولنا» .

وتوقفت العربة بالشارع عند المنعطف الذى يوجد به محل الرهونات الخاص بالسيد چابيز ويلسون وتبع كل من هولمز وواطسون والمفتش چونز خطوات السيد مريويذر فى ممر ضيق حتى وصلوا إلى باب جانبى فتحه لهم . ومشوا فى «طرقة» صغيرة حتى استوقفتهم بوابة حديدية ضخمة الحجم . وفتح السيد مريويذر هذه البوابة الحديدية الضخمة الحجم أيضا بمفتاح واقتاد الرجال الثلاثة ليهبطوا درجات سلم كثير الحنيات .

وتوقف السيد مريويذر لكى يضىء مصباحا لتنكشف بوابة حديدية أخرى . وفتح هذه البوابة أيضا ، ودخل الرجال الأربعة إلى خزينة ضخمة وقد تكدس بداخلها صناديق ضخمة الأحجام .

وقال هولمز : «هذا القبو الحصين لا يمكن الوصول إليه من أعلاه» . وأخذ هولمز المصباح فى يده وبدأ يدرس حجرة الخزينة .

وقال السيد مريويذر : «ولا يمكن الوصول إليه من أسفله» . وأخذ يضرب الأرضية بعصاه ، ثم شهق ورفع نظراته فى دهشة وهو يقول : «لماذا تبدو الأرضية وكأن تحتها تجويفا ؟» .

وقال له هولمز بحزم : «من الضرورى أن تهدأ . أى ضجة يمكن أن تفسد خطتى . والآن ، من فضلك يا سيد مريويذر ، اجلس على أحد الصناديق وحاول ألا تتدخل» .

وتوجه رجل العمل المصرفى نحو أحد الصناديق وجلس عليه وهو يشعر بشىء من الحرج . وبدأ هولمز باستخدام المصباح والعدسة المكبرة يفحص الشقوق بين أحجار الأرضية . وبعد بضع ثوان ، قفز هولمز واقفا على قدميه ووضع العدسة فى جيبه .

وقال هولمز : «لدينا ساعة من الانتظار لأنهم لن يفعلوا أى شىء حتى ينام صاحب محل الرهونات الطيب فى فراشه وبعدئذ سيشرعون فى العمل» .

ثم استدار هولمز نحو واطسون وقال له : «والآن يا واطسون ، المسألة كما يبدو من المحتمل أن تكون قد خمنتها ، فنحن الآن فى حجرة الخزينة لواحد من البنوك الكبيرة فى لندن . والسيد مريويذر هو رئيس مجلس إدارة هذا البنك . ولذلك سأدعه يوضح لك لماذا يهتم أولئك المجرمون الذين يتصفون بالجسارة بحجرة الخزينة هنا فى هذا الوقت بالذات» .

وهمس السيد مريويذر قائلا : «إنه الذهب الفرنسى الموجود عندنا . ولقد سبق أن وصلنا تحذير عن محاولة ستتم لسرقته» .

وسأله واطسون فى حيرة : «ذَهَبٌ فرنسى ؟» فقال مريويذر : «نعم ، منذ بضعة شهور ، لكى تزداد مواردنا قوة ، اقترضنا ٣٠٠٠٠ جنيه ذهبى من بنك فرنسا . ولم نحتج على الإطلاق إلى فتح صناديق هذا الذهب . ولذلك فهو لا يزال موجودا فى هذه الحوافظ فى هذا المخزن» .

وقال هولمز: «والآن يلزم أن نرتب خططنا . وأول شيء يا سيد مريويذر، يجب أن نخفى ضوء المصباح . نحن لا نستطيع أن نخاطر بإظهار أى ضوء . وبعدئذ ، يجب أن نختار الأماكن المناسبة لنا . إنهم رجال فى غاية الجسارة والجرأة بحيث لا يفكرون مرتين فى إلحاق الأذى بنا . ولذلك يجب أن نحذر كل الحذر . سأقف وراء هذا الصندوق ، وأنتم ستختبئون وراء صناديق أخرى، وبمجرد أن أسلط الضوء على المجرمين تقدموا نحوهم وهاجموهم . ولو أطلقوا النار ، اضربهم أنت بالرصاص يا واطسون!» .

وأخرج واطسون مسدسه ووضعه فوق الصندوق الذى كان يختبئ وراءه . وبمجرد أن أصبح كل من رفاقه الآخرين فى أماكنهم أنزل هولمز غطاء المصباح عليه وترك كلاً منهم فى ظلام دامس ..

وهمس هولمز يقول لصديقه واطسون : «إنهم يستطيعون أن يتسحبوا فى اتجاه واحد ، وهذا الاتجاه هو أن يتجهوا نحو منزل السيد ويلسون . ولكن المفتش چونز لديه ثلاثة ضباط ينتظرون عند الباب الأمامى ... والآن ، يجب أن نسكت عن الكلام وأن ننتظر» .

وعندما مرت ساعة من الزمان ثم ساعة وربع الساعة ، تصلب ساقا واطسون لأنه كان يخشى أن يغير وضع جسمه . وفجأة ، لمع شعاع من الضوء فى الأرضية الحجرية .واستطال الشعاع الضوئى فى خط أصفر اللون . بعدئذ ، اتسعت الفتحة وظهرت يد ، يد بيضاء اللون نسائية المظهر إلى حد كبير . وتحسست أصابع اليد ما حول الأرض الحجرية ، ثم اختفت فجأة ، وغرق كل شىء فى الظلام مرة أخرى فيما عدا شىء واحد يلمع بين الأحجار .

وبعد لحظة ، انقلب حجر واسع السطح على جانبه مصحوبا بصوت تكسير للحجر . وفوق حافة الفتحة ظهر وجه صبى وأخذ ينظر بعناية فيما حوله . وبعدئذ ، بوضع كلتا يديه على كلا جانبىْ الفتحة رفع شخص جسمه خارجا من الفتحة . وعند وصوله داخل المخزن ، رفع زميلا له ذا جسم ضئيل الحجم ووجه شاحب اللون ورأسه مليئة بشعر أحمر اللون صارخ الاحمرار .

وهمس الرجل الأول قائلا : «كل شىء واضح . أحضر هنا الأزميل والحقائب و....يا للهول ! اقفز يا آرشى ! اخرج من الفتحة بينما آخذ هذه الأشياء منك وأضعها جانبا!» .

وكان شرلوك هولمز قد قفز من وراء صندوق وأمسك الرجل الشاب الأول من ياقته . وغطس الرجل الآخر فى الفتحة متراجعا ومتفاديا قبضة يد المفتش چونز الذى ظل واقفا فى مكانه ممسكا بقطعة قماش من معطف الرجل فى يديه .

وحاول الرجل الأول ، چون كلاى أن يخرج مسدسه ، ولكن يد هولمز التى لا تخطئ هدفها وصلت إلى رسغ الرجل ، وهوى مسدسه على الأرض .

وقال له هولمز : «لا فائدة يا جون كلاى . إنك لا تستطيع أن تهرب» فقال كلاى : «هذا هو ما أدركه ، ولكن زميلى قد هرب على الأقل» ، فقال هولمز : «ولكنك مخطئ فى هذا الظن . يوجد ثلاثة رجال ينتظرونه عند باب السيد ويلسون» . وقال كلاى : «يبدو أنكم قد فكرتم فى كل شىء . يجب أن أقدم إليكم التهانى» ، فقال هولمز : «وأنا شخصيا يجب أن أقدم إليك التهانى أيضا يا چون كلاى أو بالأصح يا ڤينسنت سبولدنج

. فكرتك عن ذوى الرءوس الحمراء كانت فكرة عبقرية مبتكرة كل الابتكار» .

ووصل المفتش چونز إلى كلاى ووضع رسغيه في زوج من القيود الحديدية . وقال له كلاى : «لا تلمسنى بيديك القذرتين . إن دمًا ملكيا يسرى في شرايينى . وأنا أريد أن أنادى بحيث يسبق لقب «سير» اسمى مع استخدام تعبير «من فضلك» عند التخاطب معى» .

وقال المفتش چونز : «ها ! حسنا ، هل تتفضل سيادتك أن تمشى لتصعد إلى الطابق العلوى حيث نستطيع أن نضع سموك فى عربة ملكية لتأخذك إلى قسم الشرطة» .

وقال كلاى وهو ينحنى ويمشى مع مفتش الشرطة : «هذا أفضل» .

واستدار السيد مريويذر نحو شرلوك هولمز وقال له : «فى حقيقة الأمر يا سيد هولمز ، أنا لا أعرف كيف يمكن للبنك أن يكافئك» ، فقال هولمز : «يكفى فقط أن تغطى المصروفات التى أنفقتها يا سيد مريويذر لقد قمت بعمل إجراء أو إجراءين على نفقتى الخاصة لكى أسوّى الأمور مع السيد چون كلاى ، ولقد كانت تلك تجربة فريدة وجديرة بالاعتبار تتناسب مع مزايا رابطة ذوى الرءوس الحمراء» .

وفى وقت لاحق ، فى ساعات مبكرة من صباح يوم من الأيام ، جلس هولمز ومعه واطسون يتناولان مشروبا مفضلا لديهما فى غرفة الاستقبال بمسكن هولمز وشرح المخبر السرى المسألة بقوله : «أنت تدرك يا واطسون أنه كان من الواضح منذ البداية أن الغرض الممكن من إعلان الرابطة المنشور فى الصحيفة وعملية نسخ صفحات من دائرة المعارف إنما كان لإبعاد چابيز ويلسون عن محل الرهونات لمدة ساعات كثيرة كل

يوم. وربما خطرت هذه الطريقة فى ذهن كلاى من جراء التماثل بين شعره الأحمر وشعر چابيز ويلسون الأحمر ، وبكل تأكيد ، يكون دَفْعُ أربعة جنيهات إلى صاحب محل الرهونات كل أسبوع لا يعتد به ولا يؤبه له عندما تكون فى مقابل الحصول على ثلاثين ألف جنيه . واستأجر شريك جون كلاى المكتب المؤقت باسم مستعار باعتبار أنه هو وليام موريس من طرف دنكان روس بينما كان كلاى نفسه باعتبار أنه هو ڤينسنت سبولدنج يستحث چابيز ويلسون لكى يستجيب لإعلان الرابطة» .

وأضاف واطسون إلى كلام هولمز ما يلى : «وبهذه الطريقة تأكدوا أن چابيز ويلسون موجود فى مكان بعيد عن المحل كل صباح . ولكن قل لى يا هولمز ماذا جعلك تشك فى الأمر منذ البداية ؟» .

قال هولمز : «عندما سمعت أن ڤينسنت سبولدنج كان قد وافق أن يعمل لحساب السيد ويلسون فى مقابل نصف الأجر ، أدركت أنه كان لديه دافع قوىٌّ للحصول على الوظيفة» .

وسأله واطسون : «ولكن كيف خَمَّنْتَ الدافع ؟» فقال هولمز : «حكمتُ على الفور بعدم وجود خطة لسرقة أشياء من منزل ويلسون أو من محل الرهونات كغرض لأولئك المجرمين الذين أعدوا خططا هائلة لينفقوا عليها أموالا طائلة كما كانوا يفعلون . ولذلك اعتقدت اعتقادا جازما أنها خطة لسرقة شىء من خارج المنزل . ولكن ما هو ؟ ثم تذكرت ما أخبرنا به ويلسون من شغف سبولدنج بالتصوير الفوتوغرافى وباختفائه المتكرر فى المخزن . نعم يا واطسون . كان المخزن هو مفتاح ذلك اللغز ! كان من الضرورى أن يكون لدى ڤينسنت سبولدنج شىء يعمله فى المخزن ، شىء يستغرق عمله بضع ساعات كل يوم لمدة شهور

متوالية . وكان الشيء الوحيد الذى رجح عندى هو أنه كان يحفر نفقا يفضى إلى مبنى آخر» .

وسأله واطسون : «وكيف تأكدت من صحة هذا التخمين يا هولمز؟»

فقال فقال هولمز : «عندما قمنا بزيارة ميدان كوبيرج لأول مرة ، دَقَقْتُ الرصيف بعصاى أمام محل الرهونات الخاص بالسيد چابيز ويلسون» .

وأضاف واطسون إلى ذلك قوله : «وكان ذلك لكى تعرف ما إذا كان الحفر أمام المحل أم وراءه» وبدا أن واطسون كان مسرورا إذ تمكن من أن يفهم المخبر السرى العظيم .

وقال هولمز : «نعم يا واطسون ، ولم يكن النفق أمام المحل . ثم قرعت جرس الباب ، واستجاب سبولدنج للجرس كما كنت آمُل . ولقد كنت قد اعترضت طريقه فى مرات سابقة ، ولكننا لم نكن قد التقينا وجها لوجه . وبالإضافة إلى ذلك ، لم أكن أنظر إلى وجهه عندما فتح الباب ، ولكننى كنت أنظر إلى ركبتيه» .

وصاح واطسون قائلا : «آه ها ! وهاتان الركبتان المتسختان المتهرئتان أخبرتاك أنه كان يحفر بيديه مرتكزا على ركبتيه» .

وقال هولمز : «نعم ، وكان السؤال الوحيد المتبقى هو لأى هدف كانوا يحفرون . ولذلك يا واطسون ، بعد أن كنا قد تركنا ڤينسنت سبولدنج مشينا ودرنا مع ركن الميدان ، وأخذت أدرس وأراقب المحلات الأخرى . وعندما تأكدت أن بنك سيتى آند سبريان كان خلف محل چابيز ويلسون عرفت أننى قد حصلت على الإجابة» .

قال واطسون : «وماذا عن المهمة التى تعهدت بالقيام بها بعد الحفلة الموسيقية ؟» .

فقال هولمز : «ذهبت إلى إدارة سكوتلاند يارد ، وقمت بزيارة السيد مريويذر بمصاحبة المفتش چونز» .

وقال واطسون : «وكيف عرفت بالتأكيد أن سبولدنج أو بالأصح جراى كان سيقوم بعملية السطو الليلة ؟» ، فقال هولمز : «»عندما أغلقوا مكتب رابطة ذوى الرءوس الحمراء ، كانت تلك علامة على أنهم لم يعودوا فى حاجة إلى إبقاء السيد چابيز ويلسون خارج المنزل . وبكلمات أخرى ، كان النفق قد انتهى وتم حفره . وكان يتعين عليهم أن يستخدموه بكل سرعة لأنه يجوز أن يكتشف ، أو يجوز أن يتم نقل الذهب إلى بنك آخر . وكان يوم السبت يوما مناسبا لهم لأنه كان يعطيهم يوما كاملا هو يوم الأحد لكى يقوموا بالهرب قبل أن يفتح البنك يوم الإثنين . وبهذه الطريقة عرفت أنهم كانوا سيحاولون القيام بالسرقة فى تلك الليلة» .

قال واطسون : «هذا مدهش يا هولمز ! لقد تدبرت الموضوع بطريقة جميلة!» فقال هولمز وهو يتثاءب : « آه ، حسنا يا واطسون . لقد أنقذنى ذلك من الضجر، ولكن الآن سينتابنى الضجر والملل حتى مجىء القضية التالية لكى يتم لى اختبار قدراتى» .

تمت

الفهرس

هذا الكتاب

من الشخصيات التى نسجت
حولها كثير من الروايات العالمية
شخصية «**شرلوك هولمز**» .. لقد ذاع الصيت
وانتشروأصبح لقبًا يطلق على كل من يتميز
بالحنكة والدهاء !

إن هذه الشخصية التى ابتكرها الكاتب الطبيب «**آرثر كونان دويل**» لم تكن إلا ترجمة لما يدور بداخله تجاه أحد الشخصيات المرموقة التى لاقاها فى حياته وأعجبه فيه ذكاؤه الحادّ وقدرته الفائقة على استيعاب المواقف وفهم الناس واستنباط خلفياتهم واستنتاج الكثير عن حياتهم الخاصة .

وقد جعل المؤلف من هذا الكيان علما على شخصية مرموقة ، ووضع أمام هذه الشخصية مجموعة من المواقف التى أدت إلى ظهورها بمظهر أسطورى فى حل المشكلات المستعصية ، وهو ما حدا الناس إلى اللجوء إلى المؤلف ذاته لكى يحلّ لهم كثيرًا من الألغاز التى تواجههم ، بل إنه نجح فى إثبات براءة مجموعة من المسجونين ظلمًا ، وذلك بتعمقه فى أغوار النفس البشرية ونجاحه فى استخلاص أسباب البراءة أو الإدانة بدقة .

وفى هذا الكتاب نقدم ترجمة لثلاث من القصص الشهيرة عن «شرلوك هولمز» تم اختيارها بحيث تغطى كل جوانب هذه الشخصية المميزة ، ويجد فيها القارئ متعته التى يبحث عنها بين جنبات مثل هذه الموضوعات .

الناشر